

روايات مصرية للجيب
زهور
103
رحلة الأمواج
Looloo
www.dvd4arab.com

هذه السلسلة ..

عندما تتحولُ حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

الفصل الأول

كانت الساعة تزحف نحو الرابعة فجرًا ، وكان ليل « طوبة » بكل وحشته وعتمته وصقيعه قد أحكم قبضته على مدينة « الإسكندر الأكبر » ، فاختفى منها أى أثر للحياة ، فيما عدا القليل من أضواء شاحبة لاتكاد تضىء أماكنها ..

خلت الشوارع والطرقات تمامًا من الحركة ، وغُلقت المبانى على من فيها ، واختفى منها أى أثر لضوء أو صوت أو حركة ، فبدت كأشباح قبور شاهقة متفاوتة الارتفاعات ، وضرب السكون التام أرجاء المدينة العملاقة ، فيما عدا ذلك الصوت العنيف الذى كان يأتى متلاحقًا من ناحية البحر .. صوت الأمواج الهائجة ، وهى تطارد بعضها فى عنف وشراسة ، ولاتتراجع إلا بعد أن تضرب الشاطئ والطريق وعمارات الكورنيش ذاتها بكتل هائلة من المياه ..

وكانت عمارات الكورنيش تقف فى مواجهة البحر العظيم المعتم صامتة جامدة ، وكأنها نُصب تذكارية كئيبة فى حالة حداد على موتى مجهولين ، بينما تمدد البحر أمامها بعتمته الموحشة فى لانهائية مثيرة ، وكأنه امتداد

لانهائى من الظلمات الحالكة التى تجرى فى بطونها دنيا أخرى خافية لايعلم مكنوناتها إلا اللّه ..

هكذا بدت مدينة « الإسكندرية » فى هذه الساعة ، صامتة ، موحشة ، خاوية ، إلا من ذلك الشبح الذى انطلق يسعى فى شوارع « ميامى » الجانبية بعصبية واضحة ، قاصدًا كورنيش البحر ..

كان ذلك هو « رياض » ، شاب نحيل يقترب من الثانية والعشرين من عمره ، ذو بياض باهت ، وملامح وسيمة ولكنها متوترة قلقة من فرط عصبية صاحبها .. انطلق « رياض » يخرج من شارع ليدخل فى آخر وهو يرسل بصره أمامه فى حدة وعصبية بينما يده تقبض بعصبية على شىء ما داخل سترته الجلد المتواضعة ، وهذا ماكان باديًا عليه ، أما ماكان خافيًا فكان ذلك الصراخ العنيف الذى كان يضرب فى جنبات نفسه كقرع الطبول :

ـ « أنت لست لصًا » نعم لست لصًا ، ولكن ظروفك التى لم ترحمك هى التى قضت عليك بذلك .. هى التى سدت عليك كل الطرق ولم تترك لك غير هذا الطريق ، ثم إنك

لن تكررها ، فهى ضربة واحدة ، ضربة واحدة فقط ولكنها ستنقذك من الضياع ، وتنتشلك من مرارك هذا .. إنه حل إجرامى ، ولكنك لم تقدم عليه بإرادتك ..

ظروفك اللعينة هى التى دفعتك إليه رغمًا عنك .. ظروفك هى التى فعلت بك هذا .. هى التى لم تترك لك سبيلاً غير هذا ، فلا تتردد ولا تخف وإلا ضيعت نفسك ، فالخوف والتردد فى موقف كهذا ليس لهما سوى نتيجة واحدة : السقوط والسجن والفضيحة .. فإياك والخوف والتردد .. إياك منهما .. إياك منهما .. »

هكذا مضى الفتى النحيل يجوس فى الشوارع المظلمة الخاوية متقدمًا من هدفه وهو يصارع ضميره ، وخوفه ، وتردده .. ولم يكن هدفه هذا سوى تلك العمارة السكنية الواقفة بناصية شارع « خالد بن الوليد » مطلة بواجهتها التركوازية العريضة على البحر ، بينما يمر من خلفها ممر ضيق جدًا ، تطل عليه نوافذ المطابخ والحمامات ، وترتفع منه مواسير مياه الشرب والصرف الصحى مارة بجوار تلك النوافذ ..

وظهرت العمارة من بعيد ، وما أن وقعت عينا الفتى عليها حتى ارتفعت دقات قلبه فى عنف مربك ، وكادت تجبره على التوقف والتراجع .. ولكنه لم يتراجع .. فقد استدعى على الفور كل الظروف المريرة الطاحنة التى دفعته إلى هذا الطريق ليواجه بها هذا الخوف الهائل الذى انفجر فى قلبه دفعة واحدة .. ووجد نفسه يسيطر على خوفه ، ويواصل اندفاعه بعزم شيطانى نحو العمارة .. إنه يعرفها جيدًا .. فمنذ ما يزيد على الشهر وهو يدرس جغرافيتها وتفاصيلها ، وتفاصيل الشقة التى هو مندفع لاقتحامها الآن ، وظروف ساكنتها الوحيدة التى من المؤكد أنها تغط الآن فى نومها العميق دون أدنى أرق .. فما الذى يمكن أن يؤرق مثل هؤلاء الذين يرتعون فى الثراء بغير حساب ؟!

صحيح أنها معوقة ، ولكن الثراء الذى ترتع فيه يكاد يخفى تمامًا إعاقتها هذه فالكسيح بأمواله حصان ، وصاحبتنا أموالها كثيرة : عقارات وسيارات ، ومجوهرات ، وأموال فى البنك .. لقد ظل يسمع عنها وعن ثرائها الكثير والكثير من جاره وصديقه الأسطى « محمود » ، والذى هو سائقها الخاص فى ذات الوقت .. كان يسمع عنها ، وبلاشعورية يجد نفسه يقارن حاله بحالها ، وكان يتعجب من توزيع الأرزاق بهذه الطريقة !!

إنها طالبة جامعية ، وهو أيضًا كان طالبًا جامعيًا فى نفس الكلية ، ولكنها ما زالت مستمرة فى دراستها ، وتنعم بكليتها بفضل أموالها التى ورثتها على الجاهز ، بينما فُصل هو من الكلية ، وضاع مستقبله بفضل فقره الذى ورثه هو الآخر رغم أنفه .. فصلته إدارة الكلية بعد أن تكرر رسوبه ، واستنفد كل فرصه .. ويومها غادر الكلية مذهولاً محطمًا ، يكاد يتفجّر غيظًا وسخطًا على فقره ..

مضى يغلى فى داخله دون أن ينتبه للحظة إلى مغالطته لنفسه ، فلم يكن فقره هو السبب كما توهم ، بل كان شيطانه الذى أعمى بصيرته ولايزال .. لقد جاء من « القاهرة » إلى كلية الحقوق هنا فى « الإسكندرية » طبقًا لتوزيع مكتب التنسيق ، تاركًا خلفه أبويه وإخوته السبعة الذين يصغرونه ، ورغم أن أباه موظفًا صغيرًا فى إحدى المصالح الحكومية ، ويحمل فى رقبته هذا الكوم الثقيل من اللحم إلا أنه أقدم على تجهيز ابنه البكر لرحلته الجليلة بقدر استطاعته ، مع تعهده له بالوقوف إلى جانبه بأقصى درجة يستطيعها فى مقابل شرط واحد .. أن يجدّ فى دراسته ، ويعود بشهادته الجامعية ، وألا ينسى أبدًا أنه القدوة لإخوته ..

وجاء الفتى إلى مدينة « الإسكندرية » لأول مرة فى حياته ، وما أن وقعت عيناه على بحرها العظيم بصفحته الزرقاء الرحيبة ، وما أن هبت عليه نسائم البحر مجتاحة رئتيه فى حفاوة وترحاب حتى استشعر على الفور ملامح دنيا حلوة جديدة ، ولكن انتفاضة مشاعره الحقيقية جاءت مع أول خطوة له داخل بوابة الجامعة ، فما أن دلف من بوابتها حتى ضربه الانبهار والذهول فى عقله ، وبصره ، وكل حواسه !!

ما هذا ؟!

كرنفال من أجمل الشباب والفتيات .. كرنفال من الأزياء الحديثة والجريئة .. كرنفال لا يصدقه عقل من السيارات الخاصة !

ما هذا ؟!!

طالب علم مازال يدرس ، ولا يعمل ، ولا دخل له يأتى بسيارة بعشرات الآلاف من الجنيهات ؟! طالب يرتدى طاقمًا من الثياب يتجاوز ثمنه المئات من الجنيهات !

طالبة تسريحة شعرها ومكياجها تكلفتهما تزيد عن راتب أبيه الشهرى ! طالب ينفق على شلته فى كافتيريا الجامعة فى جلسة واحدة عشرات الجنيهات !!

ما كل هذا ؟!

أهؤلاء هم طلاب العلم ؟ وكيف يسايرهم ؟ كيف يعيش بينهم بقميصين وبنطلونين وجوربين لا يملك غيرهم منذ ثلاث سنوات ؟ وبحذاء واحد يتيم اضطر لترقيعه مرتين ؟! كيف يتحرك فى منظومتهم هذه بـ « ستين » جنيهًا شهريًا اقتطعهم له أبوه من راتبه الذى يعول به أمه وإخوته ؟! كيف ؟!

هكذا انفجرت فى رأسه شلالات من التساؤلات وبراكين من الدهشة والذهول والانبهار ، وهو يدير بصره على زملائه وزميلاته ، وقد تحلقوا هنا وهناك فى شلل أذابها الانسجام والتقارب ، ووجد نفسه يتساءل فى خاطره : هل يمكنه أن يجد له مكانًا بينهم بحاله هذا ؟ هل يمكن أن تقبله شلة بينها بهذا الحال ؟

وحدث .. وجد نفسه وسط شلة منهم .. ووجد نفسه سعيدًا بها ، وسعيدًا أكثر بهؤلاء الجميلات اللاتى رحن يتباسطن معه بتلقائية ، وبدون أية حواجز ، وقد جذبهن إليه خفة ظله وشقاوته ، فضلاً عن وسامته ، حتى صار موضع حسد وغيرة زملائه من شباب الشلة .. ولكن هذا لم يعمه عن الخلل الذى يشرخ نفسه : وضاعة مظهره ، وقلة النقود فى يده .. كيف يقبل على نفسه أن يظل بهذا المظهر الفقير بينهم ؟ أو يكون عالة عليهم فى مجالسهم ونزهاتهم ؟ لابد من تدارك هذا الخلل بسرعة .. ولم يجد أمامه سوى الحل الذى يلجأ إليه غالبية الطلاب الذين هم فى مثل ظروفه .. البحث عن عمل إلى جانب الدراسة يستر نفسه منه .. ولم يضيع وقتًا فى التفكير أو التردد .. انطلق يبحث بكل جدية حتى وجدها .. « جرسون » فى أحد المقاهى الشعبية .. وقبض على الفرصة بيديه وأسنانه ، فكان يذهب إلى الكلية صباحًا ، وما أن يفرغ من محاضراته حتى يهرع إلى المقهى ، ويظل يعمل فيه إلى ما بعد منتصف الليل فى تفانٍ ، وكانت النتيجة أن جرت النقود فى يديه ، وجاءت

الثياب الجديدة ، والبارفانات ، وبدأ يشعر بذاته وهو يرى نفسه لايقل فى سخائه ومظهره عن زملائه وزميلاته فى الشلة !

آه ! الشلة !

ها هى بذرة الكارثة ..

فالشلة لم تكن شلة دراسة أو علم .. بل كانت شلة عبث واستهتار وفساد .. كانت واحدة من تلك الشلل التى تضلُّ طريقها يوميًّا إلى قاعة المحاضرات ؛ لتنطلق صوب أى مكان آخر تمارس فيه العبث واللهو ..

وتتسرب الأيام كالماء من بين الأصابع .. ويحل موعد الامتحانات ، ليجد صاحبنا الرسوب فى انتظاره ، وليتكرر رسوبه عامًا بعد عام ؛ حتى يجد نفسه مفصولاً من الجامعة ، محرومًا من كل ما فيها ، حتى من الشلة ذاتها التى ضيع نفسه فى سبيل الفوز بشرف الانتساب لها .

وينهار من الصدمة ، وتتحطم نفسيته ، وينزوى فى ركن من المقهى الذى يعمل به تلتهمه الحسرة والإحساس بالضياع .. ويقترب منه « محمود » السائق أحد زبائن

المقهى ليسأله عما به ، وليحاول التخفيف عنه ، ولتبدأ بينهما صداقة .. صداقة الطالب الجامعى المفصول الذى لاقيمة له ولاكرامة والسائق الخاص الذى يعمل لدى طالبة جامعية ثرية ولكنها معوقة ..

وليتبارى الاثنان فى الحديث عن حالهما .. «رياض» ينعى حظه ، ويعلق خيبته الثقيلة على شماعة الفقر والظروف .. و «محمود» يصول ويجول فى الحديث عن ثراء مخدومته الصغيرة الوحيدة المعوقة ..

ويطول حديث الصديقين ، وهما لايدريان بأن الشيطان ثالثهما .. وأنه بحديث «محمود» ـ بحسن نية ـ عن ثراء مخدومته الشابة يحرث طريقًا ملعونًا فى نفس «رياض» المحطمة ، حتى فوجئ الأخير ذات ليلة ـ وهو يصغى إلى حديث صديقه ـ بالفكرة تومض فى رأسه .. فكرة السطو على علبة المجوهرات الضخمة التى يؤكد «محمود» أن مخدومته تحتفظ بها فى دولاب ثيابها .. وفزع «رياض» من الفكرة الملعونة ، وراح يصرخ فى نفسه مذهولاً :

ـ «ماذا ؟! أنا أسرق ؟! أنا أصبح لصًا بعد أن كنت طالبًا جامعيًا ؟! أنا ؟! أنا ؟! » ..

وإذا بالوسواس الخناس يجيبه بسرعة البرق :

ـ «ومن أخبرك بأنك ستكون لصًا ؟ إنها مجرد ضربة واحدة .. ضربة واحدة تستقيم بها كل الأمور ، ويعتدل الميزان المختل ، وتنعم بعدها بالحياة الناعمة التى تشتهيها .. إنها فرصتك الوحيدة ، فلا تضيّعها .. لاتضيّعها وإلا قلت على نفسك السلام .. »

وهكذا قبض إبليس الملعون على زمام فريسته ، وراح يجره بمنتهى السهولة على طريق الهاوية ، بعد أن طمس بصيرته تمامًا .. حتى وجد صاحبنا نفسه يتسلق مواسير العمارة ، قاصدًا شقة ضحيته ، ومطواته فى جيبه مسنونة متأهبة لمواجهة الموقف ..

★ ★ ★

الفصل الثانى

من نافذة صغيرة تسلل الفتى إلى المطبخ .. طفحت على شفتيه ابتسامة مرارة رغمًا عنه وهو يدير بصره فيه ..

هذا المطبخ بفخامته وتجهيزاته هذه أغلى من شقة أسرته لو بيعت تمليكًا !! اخرج مطواته من جيبه ، وأشهرها فى تحفُّز وعصبية ، وخرج من المطبخ إلى (كوريدور) طويل أدى به إلى الصالة ، وكانت واسعة مطفأة الأنوار ، إلا من مصباح صغير كان ضوءه كافيًا للكشف عن فخامة تأثيثها .. وقف وسط الصالة يدير بصره فيها .. لم يكن هناك سوى باب الشقة ، وباب حجرة مغلقة ، أسرع يفتحها ، فإذا بها حجرة المكتب ، ارتد إلى (الكوريدور) وراح يتطلع إلى الأبواب المغلقة على جانبيه فى حيرة وارتباك .. كانت هناك أربع حجرات مغلقة .. تقدم من الأولى شاهرًا مطواته ، وفتحها فى حذر وتأهب شديد فإذا بها حجرة الصالون .. فتح الثانية فإذا بها حجرة الطعام .. استبد به الضيق وهو يلتفت إلى الثالثة ..

تقدم منها وقد ضاقت دائرة بحثه ..

وضع يده اليسرى على مقبضها فى حذر شديد وتوجُّس ، بينما ازدارت يده اليمنى قبضًا على المطواة فى عصبية جامحة :

ـ «ما كل هذا الخوف ؟!» .. هكذا هتف فى نفسه مستنكرًا جبنه :

ـ إن الشقة ليس بها سوى فتاة قعيدة تغط فى نومها .. وحتى إذا ما فوجئ بها مستيقظة ، فطعنة واحدة من المطواة فى قلبها ستكون كافية لإخمادها تمامًا فى فراشها .. فما الذى يخيفه هكذا ؟! لسعته سخرية شيطانه من جبنه ، فإذا به يدفع الباب بكل عصبيته وسخطه ليتجمد فى مكانه من هول المفاجأة التى كانت فى انتظاره !!

كانت «ياسمين» مكوّمة على الأرض ، تتلوى كالثعبان ، وهى تئن أنينًا مكتومًا يمزق القلب .. وكان وجهها وشعرها معجونين بالدموع .. وكان جسدها كله يرتج بعنف ، وينتفض كطائر حى يُشوى فوق نار موقدة .. وكان واضحًا أنها كانت تجاهد كل الجهد للوصول إلى باب الحجرة ..

وصُعق الفتى من هول المنظر .. وهتف مذهولاً وهو يحدّق فيها :

ـ ما هذا ؟!

وإذا بالفتاة تقبض على قدميه بيديها مستغيثة بالدموع :

ـ أدركنى ! أدركنى !

وانحنى عليها الفتى بسرعة ، وما كاد يلمسها حتى فوجئ بجسدها وكأنه جمرةَ فحم متقدة ..

كان جسدها ساخنًا جدًا .. وكانت دموعها تهطل من عينيها كماء يغلى !

وأُسقط فى يد الفتى ، وراح يحدّق فى الفتاة ، وقد ضربه الذهول والارتباك ، وجعلاه لا يدرى كيف يتصرف ، بينما عادت الفتاة تكرر استغاثتها :

ـ أدركنى .. أدركنى .. إنى أحترق .

وازداد الفتى ارتباكًا ، ولكنه سرعان ما انتشل نفسه من ارتباكه ، وأسرع بحملها فى حضنه ، ووضعها فى فراشها وهو يردد فى جزع :

ـ لحظة .. لحظة واحدة .

واستدار نحو التليفون المستقر فوق الكومودينو ، والتقط سماعته ليستخدمه ؛ فإذا به أخرس ، لا حرارة فيه ، فاستدار نحو الفتاة يسألها عن تليفونها المحمول ، ولكنه لم يتلق منها جوابًا ، فقد كانت غارقة فى شوائها .. اندفع يفتش عنه بنفسه ، ووجده بين طيات الفراش ..

أسرع يطلب طبيبًا بواسطة الدليل ، وأملاه العنوان بالتفصيل ! ها هى المعلومات التى ظل يجمعها عن ضحيته لأكثر من شهر أفادته فى هذا الموقف العصيب !! دقائق وكان الطبيب يطرق باب الشقة بصحبة بواب العمارة .. ولحسن الحظ كان مفتاح الشقة موجودًا ببابها من الداخل .. ومال الطبيب على المريضة يفحصها ، وما أن قاس درجة حرارتها حتى غمغم مشفقًا :

ـ كان اللّه فى عونها .. كيف تحملت هذا الشواء ؟!

وأسرع يحقنها بدواء جعلها تهدأ على الفور ، وتذهب فى النوم .. ثم جلس يكتب تذكرة الدواء ، وناولها إلى الفتى قائلاً :

ـ لابد من إعطائها هذه الأدوية فورًا .

والتفت الفتى إلى البواب الصعيدى الواقف خلفه ، فإذا بالبواب يحدّق فيه بنظرات تسأله : « من أنـت ؟ » .. وفهم الفتى ، وكان رده أن هتف فيـه بحدة يسأله عن صيدلية تعمل الآن ..

وأجابه البواب فى خوف بأنه لايعرف .. فإذا بالفتى ينهره ويأمره بالانصراف ..

وأطاع البواب ، بينما التفت هو إلى الطبيب الذى كان يجمع أدواته فى حقيبته .. وهنا تذكّر أتعابه ، فأسقط فى يده .. ليس فى جيبه سوى ثلاثة جنيهات .. همّ بأن يصارح الطبيب ، ويعتذر له ، ولكن عينيه وقعتا فجأة على حقيبة الفتاة فوق « الكومودينو » .. أسرع بفتحها ؛ ليجد بها رزمة من النقود .. أسرع بمنح الطبيب أجره وهو يستأذنه فى أن يدله إلى صيدلية ليلية ، فمنحه الطبيب عنوانًا لصيدلية ، واستدار منصرفًا ، بينما انطلق الفتى جريا بتذكرة الدواء .

كانت « الإسكندرية » فى هذه الساعة تتعرض لأسوأ وأعنف نوّة فى تاريخها .. فتحت السماء جميع أبوابها لينهمر منها المطر شلالات عاتية كاسحة .. وهاجت أمواج البحر هى الأخرى هياجًا مجنونًا غير مسبوق ..

وراح الرعد يدوّى فى الفضاء وكأنه يعلن عن حرب شرسة ، تدور رحاها فى أعالى الفضاء المظلم المجهول ، بينما راح البرق يتناثر فى الفضاء كاشفًا عن شراسة هذه الحرب الضروس غير المرئية .. وانقطعت الكهرباء عن المدينة بعد أن دكت الأمطار والثلوج كافة محولاتها وكابلاتها الكهربائية .. فغرقت فى الظلمات .. ولكن كل ذلك لم يوقف الفتى النحيل ..

انطلق يعدو بأقصى طاقته فى الشوارع الخاوية المعتمة غير عابئ بشلالات المياه والثلوج التى تدك جسده دكًا ، ولا بالعتمة التى تطمس معالم كل شىء أمامه .. وبلغ الصيدلية .. وحصل منها على الدواء .. وارتد عائدًا من حيث أتى .. انطلق يجرى وهو يحتضن الأدوية داخل سترته الجلد حتى لا تفسدها مياه المطر .. وحينما دخل شقة المريضة الشابة كان يبدو كمخلوق قطبى ظل لأمد طويل مدفونًا تحت الثلوج .. كان وجهه شديد البياض ، وكأنه جف تمامًا من الدماء .. وكانت عروقه بارزة نافرة كشبكة

من أسلاك زرقاء .. وكانت ثيابه ملتصقة بجسده من البلل ، وشعره الطويل المبلـل ملتصقًا بفروة رأسـه وبعينيـه ، وكان جسده كله يرتجف بعنف من البلل والـبرد ، بينمـا أسنانه تصطك ببعضها بصوت مسموع ، وكـان يتنفس بصعوبة شديدة حتى بدا وكأنه يحتضر .. ووقف خلف باب الشقة مستندًا عليه بظهره وهو يلهث بشدة ، ويجاهد بكـل قوته كى يمنع نفسه من السقوط على الأرض .. وفتح فمه على آخره ليُدخل أكبر كمية يستطيعها من الهواء إلى رئتيه ، وهو يكاد يعجز تمامًا عن التنفس ، ولكن ما هى إلا لحظـات حتى بدأت رئتاه تعملان .. وبدأت أنفاسه تنتظم .. وبدأ يستعيد شيئًا من قوته ، وهدأت أعصابه بعض الشـىء .. فمضى إلى حجرة المريضة وفوجئ بها مستيقظة ساكنة فى فراشها ، وقد استرخت قسمات وجهها التى كانت متشنجة ..

وقف يحدّق فيها بخوف وقلق وقد تصلّبت يداه على لفافة الأدوية .. ترى هل ستسأله عمن يكون ؟ هل ستُصدم بوجوده معها فى حجرتهـا وتصـرخ فزعًـا واستنجادًا ؟ لم تفعل .. ظلت على سكونها ، فأدرك أنها لا تشعر بوجوده ..

تنفس الصعداء ، ووضع الدواء فـوق (الكومودينـو) ، ثم راح يناولها جرعاته المحددة ، بينمـا هى مستسلمة له تمامًا ، وعيناها معلقتـان بسقف الحجرة .. لحظـات وأغمضت عينيها مرة أخرى ، وراحت فى سبات عميـق .. وجاء هو بمقعد من الصالة ، وألقى بجسده المكدود فوقه .

★ ★ ★

الفصل الثالث

لم يغمض لـ « رياض » جفن .. من أيـن يأتيـه النـوم وهو الغريب فـى شقة فتـاة لا تعرفـه ؟ بل فـى حجـرة نومها ! ماذا سيكون رد فعلها حين تفيق وتسترد وعيهـا ؟ مؤكد ستصرخ فزعًا .. وستظل تصرخ ، ولـن تهـدأ إلا بعد فراره أو القبض عليه ، وربما لا تهدأ بعـد ذلك ، وتُصاب بصدمة عصبية تهلكها فى فراشها مرة أخرى .. إذن ماذا عليه أن يفعل الآن ؟ هل يسرع بالانصراف ويكتفى بما فعل ؟

وكيف يضمن ألا تصيبها انتكاسة أخرى تقضى عليها ؟

إذن ماذا يفعل ؟

ماذا يفعل ؟

وراح السؤال يضرب فـى جنبات رأسـه فـى حيـرة وعصبية وهلع ، بينما عيناه مثبتتان على وجه الفتاة وهى مستغرقة تمامًا فى نومهـا .. وإذا بوجههـا ينتشـله من حيرته وهلعه ! يا له من وجـه جميل عذب الملامـح .. وجه أبيض مستدير مشقشق كأنه قطعة من الفجر ..

وجـه ملائكى تسرى فيـه براءة الملائكة وصفاؤهم وسكينتهم ..

يا اللّه !

هل كـان من الممكن أن تمتد يده بسوء إلـى هـذا الجمال الملائكى ؟! لقد جاء إلى هنا متسللاً ، وفـى يده مطواة مسنونة ومشهرة فى تأهب فظيع للشر! وكـان من الممكن جـدًا أن تُغـرس هـذه المطـواة المشـهرة فى جسد هذا الملاك البرىء !!

أى جرم هذا الذى كان سيقترفه ؟!

أى جرم ؟!

وانتفضت أعصابه من لدغة السؤال .. وراحت عيناه تحدقان فى وجه الفتاة الملائكية المستسلمة لسلطان النوم فى طمأنينة وبراءة ..

وفجأة انتبهت كل حواس الفتى ، وتجمدت نظراتـه على وجهها فى ترقُّب وهلع .. فقد خُيل إليـه أن حركـةً طفيفة ندّت عنها .. ولكنه مالبث أن تبين أنها تحاول فعـلاً التململ فى فراشها ، ولكن جسدها لا يطاوعها .. هنا تذكّر أنها مشلولة الساقين .. ووجد نفسه يركز بصره أكثر

على وجهها ، وهو لا يـدرى كيف يتصرف .. وإذا بها تفتح عينيها لتُفاجأ بهذا الذى يجلس إلى جوارها يحدّق فيها بقلق وترقب .. وما كادت تفتح فمها لتطلق صرخة فزع حتى كانت إحدى يديه تطبق على فمها بينما اليد الأخرى تلوح بتذكرة الدواء فى وجهها ، وهو يهتف فيها :

ـ لا تخافى .. لا تخافى يا آنسة « ياسمين » ..

سأفسر لك كل شىء .. لقد كنت تموتين .. كنت مصابة بحمى شديدة .. وأحضرت لك الطبيب والأدوية .. وكتب اللّه لك النجاة ، فلا تخافى واطمئنى .. أنا أجلس هنا إلى جوارك منذ ساعات كى أطمئن عليك ، وهأنت أحسن بفضل اللّه ..

فاهدئى .. اهدئى واطمئنى .. هل أرفع يدى عن فمك ؟ لا تفزعى منى .. أنا هنا لأطمئن عليك .. هل أرفع يدى ؟

كانت الكلمات تنهمر من فم الفتى متلاحقة عصبية فزعة ، وكانت يده المطبقة على فم الفتاة ترتجف بشدة من الخوف .. وكان وجهه محتقنًا وكأن حبلاً غليظًا يشنق عنقه .. وكان يبدو واضحًا أنه لم يعد قادرًا على النطق ، ومع ذلك راح يواصل توسله إلى الفتاة المفزوعة :

ـ آنسة « ياسمين » لقد أراد اللّه أن أكون سببًا فى نجاتك فلا تكونى سببًا فى هلاكى .. لا تفزعى منى ، وسوف أفسر لك الأمر توًا .. فقط اطمئنى لى ، وامنحينى الفرصة .. هل أرفع يدى ؟ هل تعديننى بألا تصرخى ؟ هل تعديننى ؟

وتوقف الفتى عن الكلام ، وراح يتطلع إلى الفتاة فى توسل طاغ ..

لحظات ثقيلة مضت ، وكل منهما يتطلع إلى الآخر بفزعه .. وإذا بالفتى يبدو وكأنه على وشك الانهيار .. وإذا بالفزع يتلاشى تدريجيًا من وجه الفتاة لينساب محله شىء من الهدوء والطمأنينة .. وإذا بنظرات عيونها المتحجرة تلين .. وإذا بيد الفتى تنسحب من فوق فمها فى اطمئنان ، وإذا به يهمس لها بكلمات ممزقة من هول الموقف :

ـ حمدًا للّه على سلامتك .

ولم تجبه الفتاة بشىء .. ظلت نظراتها متسمرة على وجهه فى وجوم ودهشة وحيرة .. كان منظره يثير الشفقة من فرط الإجهاد والسهر وآثار المطر والبرد ، وكان الخوف الطافح من عينيه يعتصر وجهه .. تأملته مليًا فى حيرة ، ثم سألته فى جدية قاسية :

ـ من أنت ؟

وهمّ الفتى بأن يجيبها ، فإذا بتليفونها المحمول يرن ، وما أن أجابت الذى يطلبها حتى صرخت مذعورة :

ـ ماذا ؟! السابعة والنصف ؟!

وإذا بها تلقى بالتليفون جانبًا ، وتحاول النهوض بعصبية .. وفوجئ الفتى بفزعها هكذا . وهتف يسألها بانزعاج :

ـ ما الأمر يا آنسة « ياسمين » ؟

وعادت الفتاة تصرخ وهى تكاد تبكى :

ـ الامتحان !

ـ أى امتحان ؟

ـ امتحان « التيرم » .. أين « محمود » السائق ؟

ـ « محمود » قبض عليه البوليس ليلة أمس فى مشاجرة مع جيرانه .

ـ و « سعدية » زوجته ؟

ـ أخذوها معه .

ازدادت عصبية وفزع :

ـ وما العمل الآن ؟

تطلع الفتى إليها حائرًا لبرهة ، ثم إذا به يهتف :

ـ سأقوم بتوصيل حضرتك إلى الكلية .

ـ أيمكنك هذا ؟

ـ نعم يمكنني .

ـ هل تجيد قيادة السيارات ؟

ـ نعم .. هيا لا تضيّعى وقتًا .

ـ أحضر هذا المقعد .

وأشارت إلى مقعدها المتحرك بركن الحجرة ، فأسرع بإحضاره ، ثم وقف يتطلع إليها فى حرج ، فإذا بها تقول له بلهجة آمرة عصبية :

ـ احملنى ، وضعنى فوقه .

فعل الفتى ، ثم سألها فى حيرة وارتباك :

ـ إلى أين ؟

وأجابته الفتاة وهى تدفع عجلتى المقعد :

ـ انتظرنى فى الصالة .

وراحت تدفع عجلتى المقعد قاصدة الحمام ، بينما الفتى يتأملها فى شفقة وألم ، ثم مضى إلى الصالة ، وحاول الجلوس ، ولكنه لم يستطع من فرط قلقه عليها ..

وقف متوترًا زائغ البصر ، ينثر نظراته القلقة فى أرجاء الصالة تارة ، ثم إلى (الكوريدور) المفضى إلى الحمام تارة أخرى .. حتى ظهرت الفتاة بمقعدها عائدة إلى حجرة النوم .. همّ بأن يندفع نحوها ليساعدها ، ولكنها أوقفته بإشارة من يدها ، ومضت إلى الحجرة .. لحظات وخرجت فى كامل أناقتها وزينتها .. كانت ثيابها (إسبور) بسيطة ، ولكنها تعكس ذوقًا عاليًا .. وكان مكياجها أيضًا بسيطًا ، ولكنه أظهرها كما البدر فى تمامه .. لم يستطع الفتى أن يمنع نظرة إعجاب أفلتت من عينيه رغمًا عنه ، وتلقتها هى فى تحفظ ظاهر وارتياح خفى .. تقدم منها يسألها فى أدب :

ـ حضرتك جاهزة ؟

أجابته بلهجة متحفظة :

ـ حقيبتى ومذكراتى فى حجرة المكتب .

اندفع إلى الحجرة ، وعاد مسرعًا بالحقيبة والمذكرات ، فإذا بها تسأله وهى تنظر فى عينيه مرتابة :

ـ كيف عرفت أن هذه هى حجرة مكتبى ؟

لطمه السؤال .. حاول أن يجيبها بشىء ، ولكن ارتباكه الشديد جعل الكلمات تتحجر فوق لسانه .. أردفت هى دون أن تسحب نظراتها المرتابة عن وجهه :

ـ هيا بنا .

أسرع بفتح باب الشقة ، ثم عاد يدفع المقعد أمامه فى رفق .. مضى بها إلى المصعد ، ومنه إلى سيارتها التى كانت تقف بجراج العمارة .. حملها فوق ذراعيه ، وأجلسها فى السيارة ، وطوى المقعد ، ورفعه فوق السيارة ، ثم أسرع بالجلوس إلى عجلة القيادة .. لحظات وكان ينطلق صوب الجامعة على طريق الكورنيش ..

كانت الساعة قد جاوزت الثامنة ونصف ، ولكن لا آثر للشمس .. فقط شبورة كثيفة حجبت الرؤية تمامًا ، وطمست معالم الطريق ، وكانت الأرض ما زالت مغمورة بمياه الأمطار ..

ولكن ذلك كله لم يمنع الفتى من الانطـلاق بالسيارة بسرعة فى مخاطرة جعلت الفتاة تنكمش خوفًا فى مقعدها ..

ولكنها لم تملك أن تطالبه بخفض سرعته ، فالامتحـان سيبدأ فى التاسعة .. راحت تنقل نظراتها القلقة بين الثلاثة : هو والطريق وساعتها .. وحانت منه التفاتة إليها ، فتلاقت عيونهما فى نظرة خاطفة ، أدرك هو من خلالهـا مدى الخوف الذى ينهش الفتاة ، فأسرع يهدئ من روعها بابتسامة دافئة وهو يطمئنها :

ـ إن شاء اللّه سوف نصل قبل الموعد .

وأجابته الفتاة بكل قلقها :

ـ يا رب .

ثم راحت تمتم بآيات من القرآن الكريم ..

وما هى إلا دقائق حتى كانت تجلس فى لجنة الامتحان فى انتظار توزيع ورقة الأسئلة .

* * *

الفصل الرابع

أدت « ياسمين » الامتحان ، وعاد بهـا « رياض » .. كانت حالتها الصحية قد تحسنت كثيرًا ، وقد ساعدها فى ذلك حُسن إجابتها فـى مـادة الامتحـان .. بـدا عليهـا شىء من السرور وهى تجلس إلى جوار « رياض » فـى السيارة عائدين إلى المنزل .. وجدت نفسها تختلس نظرة خاطفـة إلـى وجهـه وهـو مشـغول بقيـادة السـيارة .. شعورها بالامتنان له يدفعها دفعًا إلـى تأملـه والتحدث إليـه ، ولكـن شـعورها بـالتوجس وبـالغضب لظهـوره الغامض فـى حجرة نومهـا كعفريت مـن الجن يجعلهـا مدفوعة إلى التحفظ معه بشدة ..

أما هو فقد غمرته سعادة جامحة بمجرد أن علم منها بحُسن إجابتها ، ولكن سعادته ما لبثت أن انحسرت حين لمح على وجهها نفس تحفظها وتوجسـها منـه ، ومـا لبث قلقه أن راح ينهشه بقسوة ، وهو يتساءل عما ستفعله به هى بعد أن يقوم بإعادتها إلى شقتها .. هل ستستجوبه بقسوتها هذه البادية على وجهها وفى لهجتها ؟

أم سترفق به وتدعه ينصرف مستورًا إلى حال سبيله ؟

وراح يحـاول استطلاع نيتهـا بنظـرات خاطفـة إلـى وجهها .. فإذا بوجههـا خـالٍ من أى تعبير يكشـف عن سريرتها ، فلاذ بالصمت مضطرًا حتى دخل بها الشقة .. بادرها مستأذنًا فى إعادة حقيبتها ومذكراتها إلى حجـرة المكتب .. أعادهما وارتد إليها ، فإذا به يتذكّـر علاجهـا ، أسرع يقول لها :

ـ لقد مضى أكثر من ساعة على موعد الدواء .

رمقته بنظرة تأمل طويلة ، ثم قالت :

ـ اجلس يا « رياض » !

نظر إليها الفتى مترددًا ، فعادت تخاطبه بلهجتها المتحفظة :

ـ اجلس من فضلك .

ولم يملك الفتى إلا الطاعة .. جلس قبالتها بأحد مقاعد الأنتريه .. وترك نفسه لنظراتها تفحصه كما تشاء ، وحينما فرغت من فحصه بادرته قائلة :

ـ حتى الآن لم تخبرنى سوى باسمك .

أجابها فى أدب :

ـ وقت حضرتك لم يسمح بأكثر من ذلك ..

ـ هأنا متفرغة .

وصمتت الفتاة ، بينما عيناها تحاصره فى انتظار ما سينطق به ، ولكن الفتى لم ينطق .. بدا كمن وقع فـى فخ ليس منـه فرار راح يتطلّع إليها فى حيرة وخوف ، فعادت تسأله :

ـ ماذا ؟ أليس لديك ما تقوله ؟

وتحرر لسانه قليلاً :

ـ لدىّ ، ولكنى لا أدرى كيف أقوله .

ـ اعزم على قول الحقيقة ، وستجد الأمر هينًا .

أفزعته كلمة « الحقيقة » .. رددها فى نفسه شـاردًا ، ولكن الفتاة لـم تدعـه لشروده .. سألته وهـى تحـاصره بنظراتها الجامدة :

ـ من أنت ؟

عاد الفتى يتطلّع إليها حائرًا ، لا يجد ما يجيبها به ، ولكنه ما لبث أن نكّس رأسه دافنًا نظراته الكسيرة فى الأرض ، وإذا به يقول :

ـ أنا لص !

وإذا بالفتاة تقول بمنتهى الهدوء :

ـ أعلم ذلك !

فوجئ الفتى ، هتف غير مصدق :

ـ ماذا ؟!

أجابته بهدوئها العجيب :

ـ جئت تسرقنى ، فوجدتنى أموت ، فأنقذتنى .

انتفض واقفًا من شدة ذهوله :

ـ آنسة « ياسمين » .

ـ أنقذتنى من الموت ، وأنقذتنى من الرسوب فى أهم مادة فى (التيرم) .

ازداد الفتى ارتباكًا حتى إنـه فقد القدرة على أى رد .. مجرد نظرات ذاهلة مرتبكة راح ينثرها على وجه الفتاة فـى حيرة ودهشة ، بينما ظلت هى مثبتة نظراتها على وجهه لبرهة طويلة ، ثم قالت بنفس هدوئها ورزانتها :

ـ سأذهب لاستبدال ثيابى ، وعليك بإعداد غذاء لنا من الثلاجة ، وإعطائى الدواء ، ثم بعد ذلك تروى لى حكايتك .

واستدارت بمقعدها قاصدة غرفتها !!

★ ★ ★

وروى لها الفتى .

روى لها بصدق حكايته منذ أن فتـح عينيـه على الدنيا روحًا بريئة حتى سـاقه الشيطان إلـى مخدعها مجرمًا مصبوغًا بالإجرام .. ونهشته الحسـرة حتـى أدمعت عينـاه وهو يروى تجربته مع الجامعة منذ أن فتحت له بوابتهـا ، واحتضنته ابنًا من أبنائها حتـى لفظتـه بكل احتقـار غير مأسوفٍ عليه .

وتلقَّت الفتاة الرزينة حكايته دون أدنى تأثر أو رثـاء .. تلقَّتها وكأنها أصغت إلى أسطوانة مملة معـادة عشـرات المرات .. لم يبد عليها أى انفعال ، وظلت تتأمله بهدوء بعد أن فرغ من روايته دون أى تعليـق ، وكأنه لـم يقل شيئًا ذا قيمة .. وفوجئ الفتـى بهذا ، ووجد نفسـه يسألها فى مرارة ودهشة :

ـ ماذا يا آنسة « ياسمين » ؟! ألا تصدقيننى ؟

وكان رد الفتاة :

ـ أصدقك ، ولكنك لم تأت بجديد .

ـ ماذا ؟! شاب يتحول من طـالب جـامعى إلـى لـص !! من طالب يدرس القانون ، ويتعلم كيف يكون حاميًا لحقوق الناس وأرواحهم إلى لص يسعى إلـى اغتصـاب حقوقهم ، وتهديد حياتهم !! كل هذا لا يمثّل فى نظرك جديدًا ؟

ـ نعم يا « رياض » ، كل هذا ليس به أى جديد .. مجرد حكاية شاب أفقدته المظاهر الكاذبة توازنه فهوى إلى القاع .

وأردفت فى تهكم وقرف :

ـ حكاية مملة تتكرر كل يوم .

ـ أى إن هناك إنسانًا يقع فى نفس الخطـأ ، ويضيـع كل يوم .

ـ إنه لا يضيع بسبب خطئه ، ولكن لأنه استسلم للضياع .

ـ الخطأ نتيجته الضياع يا آنسة « ياسمين » .. الخطـأ هو الذى يضيّعنا .

ـ لا يا « رياض » .. الخطأ فى حد ذاتـه لا يضيّع أحدًا ، بل إنه كثيرًا ما يفيدنا .. الذى يضيّعنا هو اليأس والاستسلام للضياع .. لا أحد منا يسلم من الخطأ ، عمـدًا أو دون عمـد ،

ولكن المهم أن ندرك بسرعة أننا أخطأنـا ، ونسرع فـى تدارك هذا الخطأ قبل فوات الأوان .. كل إنسان معـرّض لما تعرضت له أنت .. معرّض لأن تضغطه ظروفه بقسوة ، ومعرّض للوقوع فى قبضة شيطانه ، وفى النهاية معـرّض للوقوع فى الخطأ .. كل إنسان معرّض لذلك ، ولكن هنـاك من يفيق لنفسه قبل فوات الأوان ، ويسـرع بانتشـال نفسـه من كل هذا بعزم وإرادة ، وهناك من يعميـه ضعفه عـن التوبة والتراجع ، وتكون النتيجة سقوطه فى الهاوية .

ـ وماذا بعد التوبة والتراجع طالما بقيـت لـه ظروفـه القاسية ؟

ـ وماذا بعد السقوط فى الهاوية يا أستاذ ؟ لا تتوهم أن انحرافك سيفكّ لك ضيقتك إلـى الأبد .. يومًـا مـا ستقع ، وستدفع ثمن انحرافك ، ولن يغنيك ما كسـبته .. هذا إذا ما تبقّى لك شىء مما كسبت .. لن يتبقّى لك سوى الخزى والعار اللذين ستحصدهما بجرمك .. أما فى حالة رجوعك إلى رشدك ، وإلى الطريق المستقيم الذى رسمه اللّه لنـا برحمتـه ، فعلـى الأقل سوف تفوز بكرامتـك وأمنـك .. وهذين وحدهما أغلى من كنوز العالم .

كانت الكلمات تخرج من قلب الفتـاة مشبعة بـالصدق والإخلاص ، ومع ذلك تطلّع إليها الفتى فى مرارة ويأس مرددًا :

ـ هذا حديث المستريح الذى لم ينهشه الفقر يا آنسـة « ياسمين » .

ـ بل هذا حديث الشرف والكرامة يا فتـى .. أم تـراك لا تعرفهما ؟

انتفض الفتى واقفًا كمن لدغته عقرب ، وراح يفترسـها بنظرة غضب مستعرة وهو يمسك نفسه بالكاد عن الرد عليهـا ، بينما هى تتطلّع إليه بنفس هدوئها ، وإذا بها تسأله فـى سخرية لاذعة :

ـ ماذا يا أستاذ ؟ هل جرحتك كلمتـى ؟ مجرد كلمـة فعلت بك هذا ؟ إذن فكيف كنـت ستحتمل عـار السجن ومهانته ؟!

فوجئ الفتى ، غمغم فى فزع :

ـ السجن ؟!

ـ نعم ، السجن .. هـل هنـاك منحرف يسلم منـه ؟ إنـه المسـتحيل بعينـه يـا أسـتاذ .. أتعلـم لمـاذا ؟ لأن الشيطان يظل وراءه حتـى يزفـه إليـه ، حتـى وإن ظـن السـاذج أنـه لـن يرتكب سـوى زلـة واحـدة يحـل بهـا أزمته ، ويتـوب بعدها .. الشيطان يوهمه بذلك .. بأنها مجرد زلة يمكن ردمها ، ولكنهـا فـى الحقيقـة طريق .. طريق يبدأ بهذه الزلـة ، وينتهـى بالسجن ، وربمـا بمـا هو أكثـر .

وارتج الفتى .. ارتج وهو يرى فظاعة المصير الذى كان مدفوعًا إليه ، وراح يردد مذهولاً :

ـ معقول ؟!

ـ إنها الحقيقة التى لو سألت كل الذين ضاعوا لأجمعـوا عليها .

وازداد ذهول الفتـى ، وسـمع هتافـه داخـل نفسـه : « معقول ؟! هل كـان ينتظره هـذا المصير الأسـود ؟! » وراح يتراجع إلى أقرب مقعد ، وتهاوى بـه مبهوتًـا يحدق فى المجهول .. وإذا به يرى نفسه مكبلاً بالقيود الحديدية ،

ومجرورًا كالكلب الذليل على الملأ .. وإذا به يرى نفسه مرتديًا بدلة السجن بكل عارها .. ثم إذا به يرى نفسه فى النهاية محشورًا داخل إحدى زنازين السجن مع كتلة من المجرمين ..

هل كان من الممكن أن يحدث له هذا فعلاً ؟! وكيف لم يخطر بباله شىء من هذا وهو يخطط لجريمته على مدى أكثر من شهر ؟ كيف عميت بصيرته إلى هذا الحد وهو الجامعى المحمل بعلم سنوات طويلة ؟ كيف ؟ كيف ؟ والتفت إلى الفتاة الجالسة أمامه يمطرها بنظراته المتسائلة الذاهلة .. وإذا بالفتاة تجيبه ، وكأنها سمعت كل تساؤلاته لنفسه :

ـ أول ما يفعله الشيطان بفريسته أنه يعمى بصيرتها .

ـ إلى هذا الحد ؟!

ـ وأكثر .

وازدادت دهشة الفتى ، وبدا فى هذه اللحظة وكأنه يفيق من غيبوبة شديدة .. أخذت قتامة اليأس تتبدد من عينيه ومن وجهه ، لينساب محلها شىء من الخشوع بأنواره اللطيفة اللينة .. وإذا بالفتاة تدنو منه ، وترفع وجهه نحوها بيدها فى رقة وحنو قائلة :

ـ أنظر إلى رحمة ربنا بك : جئت إلى هنا ضامرًا الشر فى قلبك فإذا بيدك تمتد بالخير .. جئت متأهبًا لقتلى إذا ما اقتضى الأمر فإذا بك تنقذنى من الموت .. هكذا أرادك الله ملاك رحمة رغم نيتك التى جئت بها .. أتعلم لماذا ؟ لأن الله يعلم أنك إنسان طيب ، وخسارة فى الشر والضياع .

يا الله !! يا الله على هذه الفتاة الملائكية !! ها هى ترسل فى وجدان الفتى المعتم بأنوار بيضاء تبدد كل ظلمات الشيطان التى كادت تطمس بصيرته ، وتقوده إلى التهلكة .. ها هو نور الأمل والرحمة يشرق فى وجه الفتى فيعيد إليه الحياة .. ولكن الفتاة العجيبة لاتكتفى بذلك ، فها هى تحلّق بنظراتها الدافئة الحنون على وجهه ، وتقول له بكل حنانها :

ـ أنت لست فقط إنسانًا طيبًا ، بل إنسانًا نبيلاً يندر وجوده فى زماننا هذا .

وفوجئ الفتى ، لا بكلماتها ، ولكن بلهجتها .. طفحت دهشته على وجهه وهو ينظر إليها ، بينما أردفت هى بنفس حنوها ورقّتها :

ـ ما فعلته معى لا يفعله إلا إنسان نبيل ، ويحمل بين ضلوعه قلبًا جميلاً .

أجابها مشدوهًا :

ـ أنا لم أفعل غير الواجب .

ـ وهذا أيضًا تواضع نبيل .

وأطرق الفتى حرجًا لا يعرف ماذا يقول ، فإذا بها هى ترفع وجهه بيدها قائلة بحنانها الجميل :

ـ هل لى أن أطلب منك شيئًا ؟

أسرع يجيبها :

ـ أنا تحت أمرك .

ـ لا تقدم على فعل يشينك مرة أخرى مهما ضغطت عليك الظروف .

انتفضت كل خلايا الفتى .. انتفضت لنبل مطلبها ، وللشعور الطيب الذى يحمله ، وجد نفسه يقول لها بصدق وهو يتأملها بقلب خافق :

ـ أنت إنسانة طيبة يا آنسة « ياسمين » .

ـ وأنت أيضًا إنسان طيب يا « رياض » .

وصمت الاثنان ، وأدرك الفتى أن الحديث بلغ منتهاه ، فأسرع يستأذن بالانصراف ، ونهض واقفًا ، وإذا بالفتاة تستوقفه :

ـ « رياض » !

ـ نعم يا آنسة « ياسمين » .

ـ إنى أحتاج إليك .

أجابها بسرعة :

ـ أنا تحت أمر حضرتك .

وإذا بشىء من الخجل يجعلها مترددة فى الإفصاح عن حاجتها ، فأسرع الفتى يقول لها :

ـ أرجوكِ يا آنسة « ياسمين » ، أخبرينى بحاجتك دون تردد .

تأملته الفتاة بحرج لبرهة ، ثم قالت :

ـ أنا لا أستريح لـ « محمود » السائق بسبب أسلوبه الهمجى ، فهل أطمع فى مساعدتك لى بدلاً منه .

فوجئ الفتى .. بدا وكأنـه تلقّـى إهانـة قاسـية وغـير متوقعة منها .. حدجها بنظـرة أفصحت عن صدمتـه .. وكان رد الفتاة بسرعة وانزعاج :

ـ أنت لن تكون سائقى ، بل ستكون صديقى .

مفاجأة أخرى قذفته بها الفتاة ، ولكنها مفاجأة نقيضـة جعلت الفرحة تسطع فى وجهه ، وجعلته يهتف :

ـ هذا شرف لى يا آنسة « ياسمين » .

ابتسمت الفتاة قائلة :

ـ سوف تربطنا صداقة جميلة يا فتى ، ولكنها ستكون صداقة بأجر .

ضربته الدهشة :

ـ منذ متى كانت الصداقة بأجر ؟

وكان ردها بخفة ظل مفاجئة :

ـ منذ الآن ، وما أظنك تستطيع رفض صداقة حسـناء مثلى !

ابتسم الفتى لأول مرة منذ تسـلله إلـى الشـقة ، وأجابهـا فى أدب :

ـ أنا تحت أمرك يا آنسة « ياسمين » .

ـ شكرًا يا صديقى .. ممكن أستأذنك فى إحضار حقيبتى .

ـ تحت أمرك .

ومضى الفتى إلى حجرة المكتب ، وعاد إليها بالحقيبـة ، فإذا بها تستخرج منها مبلغًا من النقود ، وتمد له يدها به قائلة بابتسامة حلوة :

ـ أنا أفضّل الدفع مقدمًا .

وهمَّ الفتى بأن يرد يدها فى أدب ، ولكن الفتاة أسرعت تقول له فى ود جميل :

ـ لا ترفض أول مطلب لصديقتك .

ولم يملك الفتى إلا أن يتناول النقود من يدهـا ، وهـو يعانق وجهها بنظرة امتنان ، ثم استأذنها فى الانصراف ، واستدار منصرفًا ، بينما الفتاة تشيعه بنظرة ارتياح .

★ ★ ★

الفصل الخامس

أخبرت الخادمة الجديدة سيدتها بوصول «رياض» ، فخرجت «ياسمين» إليه حيث كان ينتظرها فى قاعة الاستقبال .. كان يقف ممسكًا بحقيبة جلدية طويلة ، وعيناه على مدخل القاعة .. وأقبلت «ياسمين» من حجرتها لتُفاجأ بـ «رياض» آخر غير «رياض» الأمس .. شابًا نضرًا ، جميل الهيئة ، مشرق الوجه ، تضىء وجهه ابتسامة حلوة تفيض براءة وعذوبة خطفتا قلب الفتاة .. وكادت عيناها تفضحان ما فعله بها بهاء طلعته لولا قوة شخصيتها .. بادرته قائلة :

ـ يا لك من موظف مدلل !

أجابها فى رقة وحرج :

ـ أنا آسف .

أشارت له بالجلوس ، وانتظرت حتى فعل ، ثم سألته :

ـ ما الذى جعل صديقنا العزيز يأتى الخامسة مساءً بدلاً من الثامنة صباحًا .

ـ هذا .

وفتح الحقيبة ، وإذا به يخرج منها جيتارًا حديثًا .. وشهقت الفتاة من المفاجأة والفرحة :

ـ جيتار ؟!

ـ منذ العاشرة صباحًا وأنا أبحث عنه .

ومد يده به لها وهو يقول فى حياء :

ـ هل مسموح لموظف حضرتك الجديد بأن يهاديك بهذه الهدية المتواضعة ؟

وكان ردها وهى تتناوله منه ، وتتأمله بفرحة ودهشة :

ـ أهو لى أنا ؟!

أومأ لها بالإيجاب ، فعادت تسأله بدهشتها وهى تتحسسه وكأنه طفل جميل عزيز :

ـ كيف فكرت فيه ؟!

ـ رأيت جيتارًا مكسورًا على الأرض بجوار فراشك ، فأدركت أنه جيتارك ، وأنك كنت تعزفين عليه عندما داهمتك الحُمى ، وسقط منك .

رفعت عينيها نحوه فى تعجب ، ووجدت نفسها تسأله فى إشفاق :

ـ ومن أين أتيت بثمنه ؟

ـ من حضرتك ، هل نسيت ؟

ـ نسيت ؟! نسيت ماذا ؟

وإذا بها تدرك مقصده ، فتهتف :

ـ هل اشتريته براتبك ؟

ابتسم لطيبتها ، ثم أجابها :

ـ لم يكن راتبى يا سيدتى ، فالموظفون لا يتقاضون رواتبهم مقدمًا .. إنها نقود حضرتك ، وكل ما فعلته أننى أعدتها لك بطريقتى .

فاضت دهشتها على وجهها :

ـ يالها من طريقة !

ـ المهم هو أن تكون أعجبتك .

داعبته بخفة ظل :

ـ أيهما ؟ الطريقة أم الهدية ؟

ـ الهدية يا سيدتى .

عادت بنظراتها إلى الجيتار ، وأجابته :

ـ إنها أجمل هدية جاءتنى منذ وفاة بابا وماما اللّه يرحمهما .

وأطرقت فى أسى ، وكأنها تذكَرت شيئًا فجَر شجونها ، وفوجئ الفتى ، فناداها فى جزع :

ـ آنسة « ياسمين » ! ماذا هناك ؟

انتبهت له الفتاة ، رفعت وجهها نحوه مبتسمة :

ـ لا شىء يا « رياض » .. مجرد خاطر قاسٍ .

غمغم متعاطفًا معها :

ـ الخواطر مثل البشر ، منها الطيب ومنها الخبيث .

ثم استعاد ابتسامته قائلاً :

ـ والآن يا سيدتى ، ما هو العمل الذى ستكلفين به موظفك الجديد ؟

وعادت إلى الفتاة هى الأخرى ابتسامتها ، وأجابته :

ـ ألم تخبرنى بأنك قضيت النهار كله تبحث عن هذا الجيتار ؟

ـ نعم .

ـ إذن فقد أديت عملك اليوم ، وأنت الآن ضيفى .

واستدارت قليلاً بالمقعد ، ونادت الخادمة ، ثم التفتت إلى الفتى تسأله :

ـ أظنك لم تتناول غذاءك بعد ؟

ـ بل أكلت وجبة كشرى ملأت بطنى حتى قفصى الصدرى .

ـ ماذا تشرب إذن ؟

ـ شاى .

أشارت للخادمة بتلبية طلبه ، ثم عادت بنظراتها إلى الجيتار .. أمسكت به فى وضع العزف وهى تقول :

ـ إننى مازلت تلميذة فى العزف عليه .

ثم راحت تضرب على أوتاره فى محاولة بدائية كانت نتيجتها نغمات متنافرة أقرب إلى النشاز منها إلى اللحن ، شعرت معها الفتاة بشىء من الحرج ، فسارعت بالابتسام قائلة :

ـ محاولة تلميذة لا أكثر .

وجاءت الخادمة بالشاى ، ووضعته أمامه ، وانصرفت .. وهمَّ هو بأن يقول شيئًا ، ولكن الفتاة قاطعته قائلة :

ـ سوف أعود إليك حالاً .

واستدارت بالمقعد ، وراحت تدفع عجلتيه قاصدة حجرتها ، بينما الفتى يشيعها بنظراته فى تأثر وهو يسائل نفسه : «كيف يكون كل هذا الجمال كسيحًا ؟ يا لمشيئة الأقدار ! » ..

ودلفت الفتاة إلى غرفتها .. وراحت تفتش فى أدراج مكتبها عن شىء ما ، ووجدته : «تليفون محمول » حديث الموديل فى علبته .. تناولته وهمّت بأن تستدير بالمقعد ، فإذا بها تتوقف فى مكانها ، وتصيخ السمع .. ثمة موسيقى شديدة العذوبة تأتى من قاعة الاستقبال .. موسيقى أغنية « كلك على بعضك حلو » لـ « كاظم الساهر » .. وابتسمت الفتاة لمسلك موظفها الجديد .. إنه لا يضيّع وقتًا .. جاءها بالجيتار يهاديها به ، وبهذه الموسيقى الناعمة على شريط كاسيت يغازلها بها ! كيف علم بأنها تحب هذه الأغنية ؟!

تحركت بالمقعد عائدة إلى القاعة ، وما أن بلغتها حتى توقفت فى مكانها تحدق فى الفتى بدهشة طاغية .. كان الفتى واقفًا أمام صورتها فى ركن القاعة وهو منهمك

تمامًا فى العزف على الجيتار !! كان هـو الـذى يعزف لحن الأغنية ، وليس جهاز الكاسيت كما اعتقدت .. كـان يعزف عزف موسيقار محترف ، بينما عيناه تحلّقـان علـى وجهها الضاحك فى الصـورة .. ولـم تصدق الفتـاة عينيهـا وأذنيها وهى تحدق فيه مـأخوذة .. واستدار الفتـى نحوهـا وكأنـه كان يشعر بوجودها ، وراح يدنو منها حتى وقف أمامهـا وهو يواصل عزفه بينما عيناه تهديها الأغنية .. وخفـق قلب الفتاة ، وأغمضت عينيها ، وراحت تذوب وتذوب فـى عذوبة الموسيقى حتـى غابت عن الوجود ، ولـم تعد إليـه إلا على صوت الفتى يستدعيها من جنة النشوى التى طـارت إليها على أنغام عزفه .. فتحت عينيها ببطء لتجده جاثيًا أمامها على ركبتيه يعانق وجهها بابتسامة تقطر عذوبـة ، ويسألها فى رقة :

ـ هل أعجبك عزفى ؟

ولم تتفوّه الفتاة ببنت شفة .. راحـت تحلّق بنظراتهـا المفتونة المندهشة على وجهه ، وأشفق هو عليها مـن طغيان دهشتها ، فأسرع يريحها منها :

ـ أبى كان عوادًا قديمًا ، ولكن الحظ لم يواتيه ، وكانت الحسنة الوحيدة لموهبته أنه علمنى العزف .

ـ ولماذا لم تمتهنه ؟

ـ حاولت ، ولم أكن أفضل حظًا من أبى .

وإذا بابتسامة مرارة تطفح على وجهه ، ويطرق قائلاً :

ـ حاولت فى الدراسة وأغلق الحظ بابـه فـى وجهـى ، وحـاولت فـى الموسيقى وفعلهـا الحظ معى ثانيـةً ، وحتـى عندما حاولت أن أكون لصًا وجدت ....

ولم تدعه الفتاة يكمل .. أسرعت بوضع يدها على فمه لإسكاته ، وهى تهتف فى انزعاج وعتاب :

ـ لا تقل على نفسك لصًا .

وفوجئ الفتى بتصرفها ، وفوجئت هى نفسها بما فعلت .. وسحبت يدها من فوق شفتيه بارتباك وحرج شديد ، بينمـا تعلقت عيونهما ببعضها ، وراحت تبوح لبعضها بشىء مـا .. شىء مبهم ولكنه محسوس .. شىء يشبه السحر .. شـىء حمل خفقات قلبيهما ، وراح يربطها ببعضها دون إرادتهمـا .. وطـال عنـاق العيـون حتـى انتشـلت الفتـاة نفسـها مـن أسر عينيه ، وعادت إلى موضوع حديثهما قائلة :

ـ ناس كثيرون قست عليهم ظروف الحياة حتى ظنوا أنهم ضائعون ، فإذا بالأيام تسارع بنجدتهم ، وتجعل لهم شأنًا عظيمًا .

ـ هؤلاء هم المحظوظون .

ـ هؤلاء هم الطيبون الذين يعز على اللّه أن يضيّعهم .

أدهشه ردها ، وما يحمله من ثقة فى رحمة اللّه ، خشع قلبه ، وفاحت فيه الطمأنينة ، ودنت هى بالمقعد منه ، وأردفت فى حنو :

ـ أنت واحد من هؤلاء يا « رياض » ، ووجودك هنا الآن معززًا مكرمًا لهو خير دليل على ذلك .

ازداد قلب الفتى خشوعًا ، ووجد نفسه يطرق إلى الأرض خجلاً من غشاوة بصيرته التى كشفت عنها الفتاة الملائكية ، وأشفقت عليه الفتاة من مرارة خجله ، فمدت يدها ترفع وجهه المنكس فى حنو ، وأهدته ابتسامة حلوة بدلت مرارته على الفور بسعادة جارفة جعلته يهمس لها بصدق :

ـ أنت إنسانة عظيمة يا آنسة « ياسمين » .

ازدادت ابتسامة الفتاة إشراقًا ، ووقع بصرها على الشاى ، فهمّت بأن تناوله فنجانه ، ولكنه سبقها وناولها فنجانها ، وإذا بها تسأله :

ـ لماذا لا تعيد قيدك بالكلية ؟

فوجئ بسؤالها .. ردد بدهشة :

ـ الكلية ؟!

ـ نعم .

أعاد فنجانه إلى موضعه ، ثم عاد يردد بدهشته :

ـ وأعود طالبًا فى الجامعة ؟!

ـ وما المانع ؟ الأمر لن يكلفنا سوى رسوم زهيدة .

طفحت على وجهه ابتسامته الساخرة :

ـ وهل المشكلة فى الرسوم يا سيدتى ؟

ـ فيم إذن ؟

ـ فىّ أنا .

ـ ماذا تعنى ؟

تطلّع إليها فى تمزق ومرارة وهو يجيبها :

ـ ما الذى يضمن ألا يتكرر ما حدث ؟ أسدد الرسوم ، وأعود إلى الكلية ، فتعود إلىّ خيبتى .. تعمينى المظاهر الكاذبة ، وتجرفنى شهواتى بعيدًا عن الدراسة .. وأجد نفسى مرة أخرى واحدًا من حثالة الجامعة التى تلفظها كل عـام بلا تردد ..

ما الذى يضمن ألا يتكرر هذا ؟ لقد فتحت لى هذه الجامعة أبوابها ، واعتمدتنى واحدًا من أولادها ، وكانت هذه فرصـة يتمناها الملايين غيرى ، ولكننى لم أحافظ عليها ، وضيّعتهـا من يـدى بمنتهـى الاستهتار ، فهل تـأتين حضرتـك الآن وتحصرين المشكلة كلها فى سداد الرسوم ؟! لا يا سيدتى .. المشكلة ليست فى الرسوم ، ولا فى المصاريف ، ولا فى عودتى إلى الجامعة .. المشكلة فىّ أنا .. فىّ أنا .

ـ وهل أنت الآن مثلما كنت من قبل ؟

ـ وما الذى زاد علىّ ؟

ـ زاد عليك الكثير .. أولاً : ندمك هذا الذى يغمرك الآن .. ثانيًا : شعورك المؤلم بمرارة الضياع بعد فصلك من الكليـة ..

ثالثًا : وهو الأهم من هذا وذاك ، اكتشافك لحقيقة معدنك حينما وجدت نفسك مدفوعًا لإنقاذى من الموت بدلاً من قتلى وسرقتى ..

لقد كان بمقدورك أن تأخذ كل المجوهرات التـى جئت لأجلها ، وتذهب من حيث أتيت دون أننى مقاومة منى ، وحتـى لو كنت حاولت مقاومتك كان بمقدورك أن تقتلنـى وتلـوذ بالفرار دون أن يراك أحد .. ولكنك بدلاً من ذلـك سـارعت بنجدتى ، بل إنك خاطرت بنفسك فى سبيل إنقاذى من الموت ، أليس هذا برهانًا قاطعًا على نبلك وندرة معدنك ؟

ـ أنا لم أفعل سوى الواجب يا سيدتى .

ـ لا يا « رياض » ، وصف الواجب هنا لا ينطبق على ما فعلته معى .. فأنت لم تكن جارًا أو صديقًا أو قريبًا حتـى يكون ما فعلته معى واجبًا عليك .. لم يكن يربطك بى أى رباط فى تلك اللحظات سوى الشيطان .. الشيطان الذى أراد أن يضعك فى موضع السفاح ، ويضعنى فى موضع الفريسة ، فإذا بك تنقلب عليه ، وتأخذنى فى حضنك بدلاً من أن تمـد يدك لى بسوء .. لا يا فتى ، ما فعلته معى لم يكن واجبًا

عليك .. ما فعلته كان شيئًا آخر تمامًا غير الواجب .. شيئًا قلب الميزان ، وجعلك دائنًا لى ، وجعلنى مدينة لك بدين ليس بيسير .

ـ آنسة « ياسمين ! » .

وإذا بصوت الفتاة يتهدج وهى تقول :

ـ إننى لم أنم طوال ليلة الأمس من جراء صنيعك .. كان كلما دنا النوم من جفونى وجدتنى أتخيلك وأنت تحملنى فى حضنك ، وتضعنى فى فراشى ، ثم وأنت تستدعى الطبيب غير مبالٍ بخطورة وجودك فى حجرة نومى فى هذه الساعة ، ثم وأنت تجرى فى الظلام بحثًا عن صيدلية ، ثم وأنت تناولنى الدواء بعطف وحنان ، ثم أخيرًا وأنت تقضى الليل كله إلى جوارى حتى تطمئن علىّ مخاطرًا بنفسك مخاطرة مجنونة ، فقد كانت صرخة فزع واحدة منى بمجرد استيقاظى كافية لضياعك ، ولكنك لم تبال ، ولم تتركنى مكتفيًا بما صنعت !

وإذا بدموع الفتاة تخنق صوتها ، وهى تردد :

ـ أى دين هذا الذى علقته فى رقبتى يا « رياض » ؟! أى دين ؟!

ولم يحتمل الفتى منها أكثر من هذا .. أسرع يهتف فيها :

ـ آنسة « ياسمين » .. آنسة « ياسمين » .. لقد حملتنى الأمر أكثر مما يحتمل .. أى إنسان فى هذا الموقف ما كان ليفعل غير ما فعلت .

ـ لا .. لا يا « رياض » .. ليس أى إنسان مُهيأ لفعل ذلك .. أنت فعلته لأنك إنسان نبيل فى حقيقتك .. إنسان طيب المعدن يجرى الخير فى عروقك .

وللمرة الأخيرة راح الفتى يحاول إيقافها عن حديثها المحرج له :

ـ آنسة « ياسمين » ، لقد خرجنا تمامًا عن موضوعنا .. موضوع عودتى إلى الجامعة .

ـ لا يا « رياض » ، لم نخرج عنه .. لقد أردت أن أبلغ بك حقيقة مؤكدة ، وهى أن إنسانًا بداخله مثل هذا الخير والنبل لابد أن تكون بصيرته صالحة ، وما عليه إلا أن يُحسن استخدامها .

وهمّ الفتى بأن يقول شيئًا ، ولكنها لم تعطه الفرصة ، أردفت قائلة فى طيبة وحنو :

ـ تخيّل نفسك بعد بضع سنوات وقد صرت محاميًا ناجحًا ، لك مكانتك الاجتماعية ، ولك أسرة تفخر بك ، وتنعم معها بمعيشة كريمة ، وتنعم بإحساسك بذاتك .. تخيّل ذلك كله ، ثم تخيّل النقيض .. إنسان نكرة ، مطحون فى عملٍ متواضع ، وأسرة متواضعة ، ومعيشة ضنك ، وحسرة تنهش قلبك ليل نهار على إضاعتك لفرصتك فى حياة كريمة ، وفى النهاية كراهية لنفسك ولحياتك ، وشقاء بغيض لا ينتهى .. تخيّل النقيضين معًا ، وانتبه إلى أن الاثنين فى يدك الآن ، فأيهما تختار ؟!

وصمتت الفتاة متطلعة إلى الفتى فى انتظار جوابه ، ولكن الفتى لم يفتح فمه .. ظلت نظراته متسمرة على وجهها فى صمت محيّر .. لقد كان ما يحدث بداخله الآن أكبر من أية كلمات .. فها هى الغشاوة الثقيلة التى ظلت تعمى بصيرته لسنوات طويلة تتبدد ، فإذا به يرى بوضوح شديد الصورتين اللتين طرحتهما الفتاة أمامه بكل تناقضهما ، وإذا به يرى جسامة ما اقترفه من جرم فى حق نفسه ، وإذا بكيانه كله ينتفض ندمًا وذهولاً .. كيف فعل هذا بنفسه ؟! كيف ؟!

ووجد نفسه يحدّق فى وجه الفتاة الطيبة فى دهشة وحيرة ، وكأنه يريد أن يسألها كيف استطاعت بكلمات بسيطة أن تغمره بكل هذا النور ؟ وكيف استطاعت هى نفسها أن تبصر كل هذا ؟! وكيف عميت بصيرته هو عن كل هذا ؟! كم يدرك الآن أن الأعمى الحقيقى هو من عميت بصيرته لا بصره ..

وطال تحديق الفتى فى الفتاة دون كلمة ، حتى شعرت الفتاة بالحرج ، فأطرقت معتذرة فى خجل :

ـ أنا آسفة يا « رياض » .. يبدو أننى نسيت نفسى ، وخضت فى شئونك الخاصة أكثر من اللازم .

ولم يجبها الفتى بشىء ، وظل يحدجها بنفس نظراته الحائرة حتى بلغ حرج الفتاة مداه ، وهمت بأن تستدير بمقعدها هربًا من حصار نظراته ، فإذا به يستوقفها قائلاً :

ـ آنسة « ياسمين » : هل يمكننى أن أقترض من حضرتك رسوم إعادة قيدى بالكلية ؟

وإذا بفرحة الدنيا بأسرها تتفجر فى قلبها ووجهها .. وإذا بها تناوله « الموبيل » قائلة :

ـ الرسوم وهـــذا « الموبيـل » هديـة مـن زميلتك « ياسمين » .

★ ★ ★

الفصل السادس

عاد « رياض » إلى كليته .. عاد إنسانًا جديدًا مختلفًا تمامًا .. عاد عاشقًا للدراسة ، لا تفوته محاضرة ولا يمـل استذكارًا .. عاد مشحونًا بإصرار عجيب على النجاح ، بـل على التفوق .. عاد وهو يمتلئ إحساسًا جميلاً بجلال الجامعة وقد سيتها ..

وانسابت الأيام بالفتى المبعوث من جديد ما بين دراسته وعمله مـع « ياسمين » .. ولـو أن الفتى المحظوظ كان فى حاجة إلى نهر جار مـن التشجيع والمساندة بـإخلاص لكفته هذه الفتاة الملائكية .. كانت « ياسمين » بالصف الثالث بنفس كليته ، وكان هو بالصف الأول ، فراحت تعامله كزميل لا كموظف لديها .. يذهبان معًا إلى الكلية ، ويعودان معًا .. وفى شقتها راحت تفسح له أكبر وقت ممكن للمذاكـرة ، وإلى جانب ذلك راحت تشرح له ما يستعصى عليه استيعابه فى المحاضرات .. أما من الناحية المالية فقد رفعت لـه راتبه حتى فاض عن حاجته .. ومن ناحيته راح الفتى يقابل كل ذلك بمزيد من الاجتهاد والجدية فـى دراسته من ناحيـة ، والتفانى فى خدمتها من ناحية أخرى ، وتلاشى من داخله

تمامًا إحساس الموظف تجاه صاحبة العمل ، وحل محله إحساس مطلق بالسعادة وهو يخدمها .. ومع أنه كان يبذل أقصى ما بوسعه من أجل راحتها إلا أنه كان كلما وقعت عيناه على ساقيها الميتتين شـعر بوخـزة فـى قلبـه ، وتمنـى لو كان بوسعه أن يحيى هاتين الساقين ولو بدمائه وقطعـة من جسده ، ثم ما يلبث شعوره هذا أن يتحـول إلى مزيد من التفانى فى خدمتها بحب غير محدود ..

وفرغـت « ياسـمين » مـن دراسـتها ، وحصلـت علـى الليسانس بتقدير جيد جدًا ، ليتم تعيينها على الفور معيدة بالكلية .. وصار « رياض » طالبًا لديها ، ولكنه أسعد طالب بين طلابها باعتلائها منصة الأساتذة .. كل ينـابيع السعادة تفجّرت بداخله لأجلها .. إحساس جارف بالفرحة جعل الدنيا لا تسعه وهو يتلقّى أولى محاضراتهـا ، وإحسـاس أكبر بالفخر بها .. ثم إذا به يضبط نفسه وهو يجلس أمامهـا فى قاعة المحاضرات وقد انبهر بجمالها وبهائها وهى تلقـى بمحاضرتها فى ثقة وتمكّن وحيوية ، حتى إذا ما فرغت من المحاضرة فوجئت ومعها الطلبة والطالبـات بالفتى النبيل يتقدم منها بإكليل مـن الزهـور ، ويكللهـا بـه ، ثـم يميل علـى يدهـا ، ويطبـع قبلـة تهنئـة تفيض بـأصدق وأنبـل

مشاعر الحب والإجـلال .. وإذا بالقاعـة ترتـج بتصفيق الطلبة والطالبات ، بينما الأستاذة الصغيرة الجميلة تمسح دمعة عزيزة انسابت على خدها رغمًا عنـها ..

★ ★ ★

وعاد الفتى بأستاذته إلى شقتها ، وإذا بالأستاذة تتلقّى على تليفونها المحمول مكالمة جعلتها تكاد تقفز من الفرحـة .. كان المتحدث هو شقيقها الأكبر الوحيد « صفوت » ، والـذى أخبرها بأنه على متن الطائرة فى طريق عودته إلى مصر ..

كان « صفوت » قد هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكيـة منذ ست سنوات لاستكمال دراسته بإحدى الجامعات الخاصة هناك ، والتى كان يدرس بها من القاهرة بنظام المراسلة ، حتى أتم برنـامج البكالوريوس ، فدعته الجامعة لاسـتكمال دراسته فى مقرها الرئيسى فـى « نيويـورك » .. ورغـم أنه فى ذلك الوقت لم يكن قد مضى على وفاة والديه سوى بضعة شهور ، إلا أنه أصر على بيـع نصيبـه فـى الميـراث والانطلاق إلى بلاد العم « سام » ، وكان له ما أراد .

وكان « صفوت » من تلك النوعية من الشباب المحسوبـة خطأ على الشباب المصرى الطيب ، والتى تثـير القـرف والنفور منها لأول وهلة .. كان تركيبة غريبة من النفخـة

الكانبة والنرجسية والبطر .. وكان أكثر ما يميز شخصيته هو ذلك التأفف من كل ما يحيط به .. فكل ما يحيط به ـ من وجهة نظره ـ ينضح بالتخلف .. التعليم متخلف .. الصناعة متخلفة .. الناس أنفسهم متخلفون ، ومعيشتهم كلها تخلف فى تخلف .. وكان يرى أن الحياة الحقيقية هناك .. فى بلاد العم «سام» !! وفى سواها لا توجد حياة آدمية !! ولذلك ما أن أطل عليها من باب الطائرة ، حتى أغمض عينيه ، وراح يأخذ نفسًا عميقًا من الهواء الأمريكى ..

ها هو فى البلاد التى يشعر فى قرارة نفسه بأنه ينتمى إليها قلبًا وقالبًا .. بلاد الرفاهية والتقدم .. ها هى تفتح له ذراعيها ؛ لينهل من رفاهيتها وتقدمها !! ها هى تعترف به إنسانًا متقدمًا !! وها هو يقدم الدليل العملى على تقدمه ونبوغه ، فيبدأ رحلته بالانطلاق إلى شارع « برودواى » أشهر شوارع الإباحية فى العالم .. ها هو ينفق لياليه فى السهر أمام فتيات « الإستربيتز » ، مبهورًا بعروضهن الإباحية ، ومشاركًا جمهورهن المهووس صراخه وصفيره وتصفيقه .. ومن مسارح « الإستربيتز » إلى صالات القمار .. إلى حانات الخمر .. ها هو ينهل من الحياة العصرية التى كان يشتهيها !! ها هو ينفق المال والسنوات فيها ، حتى تفرغ جيوبه من آخر « دولار » ، وتفصله الجامعة ، ويجد نفسه هائمًا على وجهه فى شوارع

« نيويورك » مع حثالة الشباب الأمريكى .. ليلتقطه البوليس مرة بعد مرة ، فلا يجد مفرًا من ضياعه سوى العودة إلى بلاده التى تبطَّر عليها .. وها هو على متن الطائرة عائدًا إليها بتذكرة عودة اقترض ثمنها من طبيب مصرى مرموق مقيم فى « نيويورك » .

وفى مطار « القاهرة » الدولى كان « رياض » فى انتظاره بتكليف من « ياسمين » .. كان « رياض » يعرفه من خلال صورته المستقرة على مكتب شقيقته .. وما أن لمحه خارجًا من صالة الوصول حتى أسرع يتلقاه بالود والترحاب ، فإذا به يتلقى صدمة ما كانت فى الحسبان .. ظلت يده التى مدها لمصافحة « صفوت » معلقة فى الهواء دون أن تمتد لها يد الأخير ، والذى كان رده على ترحاب الفتى الدافئ أن سأله بعنجهية مفزعة :

ـ أنت سائق « ياسمين » ؟

وعصفت الصدمة بـ « رياض » ، وراح ينزل يده الممدودة وهو يحدق فى المهاجر العائد مذهولاً ، ولكنه ما لبث أن انتشل نفسه من الصدمة ، وراح يتأمله فى مرارة .. كان شابًا يافعًا قوى البنية ، وكان نصيبه من الوسامة وفيرًا ، ولكنها وسامة مدموغة بالعنجهية والغطرسة والفظاظة ..

وكان ببنطلونه الجينز الملتصق بجلده ، وبقميصه الأسبانى المفتوح الأزرار ، وبقلادته البنية التى تزين صدره يبدو كواحد من شباب « الكاوبوى » الذى يعيش على القتل والسلب والنهب ..

باختصار كان صورة حلوة على كيان كريه .. وعلى الفور مرق فى رأس « رياض » سؤال معدوم الجواب : كيف يكون هذا الطاووس البغيض أخًا لفراشة رقيقة مثل « ياسمين » ؟! وما كاد الفتى يتم سؤاله حتى وخزه صوت « صفوت » بلهجة الأمر :

ـ هيا احمل هذه الحقائب !

ولوهلة خطر لـ « رياض » أن يقذف فى وجهه بمفاتيح سيارة شقيقته ، ويتركه مع حقائبه ويمضى ، ولكن صورة « ياسمين ». وقد تألمت من سخافة الموقف جعلته يتراجع عن فكرته ، ويحمل الحقائب إلى السيارة التى كانت تقف فى ساحة انتظار السيارات .. ولحق به « صفوت » ، وركب بالمقعد الخلفى للسيارة ، فمضى بها « رياض » ، وقد لف الاثنين صمت مطبق لا يقطعه سوى صوت محرك السيارة .. كان « رياض » يحاول تجاهل وجود رفيقه حتى لا يعكّر دمه ، ويستطيع القيادة بسلام ،

بينما كان رفيقه يرسل بصره خارج السيارة عبر زجاج نافذتها وهو يدخن سيجارته « المارلبورو » .. أكثر من نصف ساعة لم ينبس أحدهما ببنت شفة حتى استوت السيارة على طريق « مصر / إسكندرية » فإذا بـ « صفوت » يسأل « رياض » :

ـ منذ متى تعمل لدى « ياسمين » ؟

وأجابه « رياض » على مضض :

ـ منذ سنتين .

ـ سنتين ؟! هذا معناه أنها ترتاح إليك لأنك خادم مطيع .

كاد « رياض » يضرب دواسة الفرامل بقدمه لولا رحمة اللّه ، فلو فعلها لانقلبت السيارة توًا .. تماسك بكل ما أوتى من قوة الشكيمة ، ولكن نظراته الغاضبة راحت تخترق المرآة الأمامية للسيارة تريد أن تلتهم هذا الأرعن البغيض ، ولم تنتشله من غضبته سوى (سرينة) سيارة مارقة من يساره .

ووصلا بسلام .. وتلقّت « ياسمين » شقيقها بين ذراعيها بفرحة طاغية .. ومن فرط فرحتها به لم تنتبه إلى سحابة الغم التى أطفأت وجه « رياض » ، وهى تشكره على ما بذله من جهد مع شقيقها .. واستأذنها « رياض » فى الانصراف لحاجته إلى الراحة ، وكان ردها بفرحة :

ـ تناول عشاءك معنا ، ثم اذهب حيث تشاء .

وشكرها « رياض » مصرًا على الانصراف ، فإذا بـ « صفوت » يتدخل قائلاً له بكل احتقار :

ـ اسمع كلام ستك يابنى آدم .. هيا إلى المطبخ لتتناول عشاءك !

وفوجئت « ياسمين » بقول أخيها ولهجته ، وسارعت بالالتفات إلى « رياض » فى هلع ، فإذا بمرارة الدنيا كلها محتشدة فى عينيه ..

وتجمد لسان الفتاة داخل فمها من الصدمة ، حتى إنها لم تستطع التفوه ببنت شفة وهى ترى « رياض » ينطلق جريًا ، حتى اختفى من أمامها ، فالتفتت نحو شقيقها تحدق فيه فى ذهول ، فإذا به يتجه إلى أحد المقاعد ، ويجلس واضعًا ساقًا فوق ساق ، ثم يبادرها متسائلاً بعنجهيته الاستفزازية :

ـ ها يا « ياسمين » ، ما أخبارك ؟

ولم ترفع الفتاة نظراتها الذاهلة عن وجهه ، ولم تنبس ببنت شفة .

* * *

ولم يدر « رياض » كيف عاد إلى حجرته .. ألقى بجسده فى فراشه ، وأطلق نظراته المذهولة إلى السقف ، ولم يشعر بدموعه وهى تنساب من عينيه .. دموع عزيزة تخرج من مقلتيه لأول مرة فى حياته ، اخرجها الشديد القوى ..

اخرجها « صفوت » الذى كان يدخره القدر فى جرابه ، والذى جاء به من أقصى الأرض لكى يكسر به نفسه بهذه البشاعة ! لماذا ؟! لماذا ؟! ولماذا كانت « ياسمين » بهذه السلبية التى لاتقل بشاعة عما فعله شقيقها ؟ إنها لم تحاول نجدته من رعونة هذا الشقيق الخالى من ذرة إحساس ..

لم تحاول توضيح الأمر له ، وبأنه ليس خادمًا ، بل زميلاً لها فى الجامعة قبل أن تصبح معيدة .. وما وضعه لنفسه فى خدمتها سوى تعبيرًا عن أصله الطيب ، وشعوره الطيب نحوها .. لم تحاول توضيح ذلك ، بل إنها لم تحاول أن تستوقفه وتطيب خاطره ولو بكلمة واحدة ؟ فما معنى هذا ؟

ليس له سوى معنى واحد ، وهو أنه خُدِع فيها ، وأن رقتها وشهامتها وطيبتها كلها ما كانت سوى أقنعة مزيفة تخفى تحتها نفس طبيعة أخيها العطنة .. أقنعة لا تختلف كثيرًا عن مكياجها الذى لابد من زواله فى لحظة ما ..

وتأوّه قلب الفتى وهو جامد فى فراشه ، وراحت دموعـه العزيزة تواصل زحفها فوق خديه ، وراحت آهاتـه المريـرة تنتفض فى القلب متسائلة فى عتاب :

ـ أهكذا يا « ياسمين » ؟! أهكذا ؟!

وأغمض عينيه مكابدًا مرارة لا تُحتمـل ، وإذا بطرقـات رقيقة بباب الحجرة ، ونهـض دون أن يمسـح دموعـه ، وفتح الباب ليُفاجأ بـآخر مـا كـان يتوقعـه فـى حياتـه .. « ياسمين » فوق مقعدها المتحرك ، يدفعـه رجـل بسـيط المظهر ، سرعان ما تبين أنـه سائق التاكسى الذى جاء بها .. ووقف « رياض » يحدّق فى الفتاة ، وقد ألجمت المفاجـأة لسانه ، فبادرته هى متسائلة برقة وابتسامة حلوة :

ـ ماذا يا فتى ؟ ألن تدعونى إلى الدخول ؟

وانتشله سؤالها من ذهولـه ، وأسرع بإدخالهـا ، ثـم راح يحدّق فيها غير مصدق عينيه .. وإذا به ينتبه إلـى وضاعة الحجرة ، فأسرع يعتذر لضيفته فى ارتباك وحرج :

ـ أنا آسف يا سيدتى .. الحجرة ليست فى مقام حضرتك .

وكان ردها وهى تعانق وجهه بنظرة حانية :

ـ أنا لا أرى الحجرة .. أنا أرى صديقى الذى أعتز به .

رجتّه الكلمة :

ـ صديقك ؟!

ـ نعم صديقى ، وهل كنت فى حاجة لأن تسمعها منى لكى تعلم قدرك عندى ؟

أطرق قائلاً فى مرارة :

ـ العين لا تعلو على الحاجب يا سيدتى .

ابتسمت قائلة :

ـ مثل ساذج يا أستاذ .. العين أهم كثيرًا من الحاجب .

ثم أردفت مداعبة :

ـ اجلس يا « رياض » فأنت طويل وأنا قعيدة .

أسرع الفتى بالجلوس على حافة الفراش :

ـ أنا آسف .

فوجئت بآثار دموعه على وجهه ، همست له فى حرج :

ـ بل أنا الآسفة .

أطرق إلى الأرض وقد عزّت عليـه نفسـه ، وتجددت الدموع فى مقلتيه ، فإذا بها تمد يدها ، وترفع وجهه نحوهـا قائلة فى حنو :

ـ لا تنكّس رأسك هكذا .

أجابها فى تمزق ومرارة :

ـ مثلى لا يملك سوى تنكيس رأسه .

استفزتها انهزاميته المؤلمة .. هتفت فيه مستنكرة :

ـ ما هذا الذى تقوله ؟!

ـ الحقيقة .

ـ أية حقيقة يا فتى ؟!

وضمت وجهه بيديها أكثر ، ثم مضت تسأله :

ـ ما الذى يشينك حتى تقول هذا ؟! الفقر ؟ ثلثا البشر الموجودين على ظهر الأرض فقراء ، ومع ذلك أغلبهم يعيشون مرفوعى الرأس ، لايشعرون بهذا الانكسار الذى تشين به نفسك ، وكثيرون منهم يتخذون من فقرهم دافعًا للنجاح ..

مما تشكو أنت فى حياتك غير هذا ؟ لاشىء .. بل إنك تملك ما لم يجتمع لكثيرين غيرك : صحة ، ووسامة ، وذكاء .. ماذا كنت تريد أكثر من ذلك ؟ الكمال ؟ من منا ناله ؟ كل إنسان ينقصه شىء .. ومن رحمة ربنا بك أن ما ينقصك يمكنك تعويضه ، ولكن هناك غيرك ينقصه شىء عزيز يستحيل تعويضه .. انظر أمامك يا فتى ولا تكن أعمى البصيرة .. انظر إلى من لا تستطيع أموال العالم كله أن تعوضها عما ينقصها .. انظر أمام عينيك وبين يديك ..

وهنا انقطع حديث الفتاة .. قطعه بكاؤها ودموعها التى هاجت واندفعت من عينيها بغير توقف .. وبُهت الفتى ، وهتف مذهولاً :

ـ آنسة « ياسمين » !

وإذا بالفتاة تطرق إلى الأرض ، وتقول بالدموع :

ـ نعم يا « رياض » .. هأنا أمامك مثال حى للنقص الكفيل بقتل صاحبه بالحسرة والعذاب .. فتاة جميلة الوجه .. بداخلها قلب ينبض بالحب مثل كل بنات جنسها .. وبداخلها خيال يعرف نشوة الحلم .. وبداخلها أنوثة لا تقل اشتعالاً عن أنوثة أية فاتنة ، ولها عينان تشاهد بهما استمتاع بنات جنسها الأصحاء بالحياة .. فتاة تشعر بكل هذا ، وتعلم

كل هذا ، وتشاهد بعينيها كل هذا ، ومع ذلك كُتبَ عليهـا أن تعيش محرومة من كل هذا .. ألا يكفيـك هـذا المثـال الحى الماثل بين يديك ؟ ألا يكفيك ؟

انتفضت كل خلايا الفتى :

ـ آنسة «ياسمين» ، أنت لاتقلين عن أية فتاة ، بل أنت فتاة رائعة .

ابتسمت بدموعها فى مرارة :

ـ مجاملة سخيفة فى مثل حالتى .

ـ لا يا آنسة «ياسمين» .. هذه ليست مجاملة .. إنها الحقيقة .. أنت حقًّا فتاة رائعة .. نعم فتاة رائعة .. بداخلك جوهرتان تجعلانك من أروع بنات حواء .. عقلك ، وقلبك .. لك عقل أروع من الألماظ .. عقل جعلك أقوى من ظروفك .. عقل حفظ لك توازنك فى مواجهة إعاقتك .. عقـل حقق لك ذاتك ، وهو منال عزيز فى زماننا هذا ..

وبداخلك قلب أنقى من اللبن الحليب .. قلب عامر بالحب والخير .. قلب بصير يهب النور والهداية لكل ضال يمر بطريقه .. وأية فتاة فى هذا العالم تملك مثل عقلك وقلبك لهى فتاة رائعة .. فتاة كاملة .. فتاة حلم لكل شباب الدنيا ..

ـ إذن فأتنى بكل شباب الدنيا هؤلاء ، واعرضنى عليهم ، وأرنى من منهم يرضى بنصف فتاة مثلى .

ـ أنا !!!!

قنبلة ودوّت من فم الفتى ، وأعقب دويّها صمت مدموغ بالذهول .. تجمدّت كل حواس الفتاة من المفاجـأة وهـى تحدّق فى وجه الفتى الجاثى أمامها ، بينما ضرب الارتبـاك الفتى فى قلبه وعقله ، وتعلّقت عيناه بعينيها فى اضطـراب مؤلم ، ووجد نفسه يقول لها بصوت هامس حزين :

ـ نعم .. نعم يا أروع فتاة .. أنـا أحبك .. أحبك منذ أن وقعت عيناى على وجهك الملائكى هذا .. منذ حملتك فى حضنى من فوق الأرض وأنت ساخنة كالجمر .. منذ الليلة الأولى التى قضيتها إلى جوارك أتأمل وجهك الملائكى ، وأنـت نائمة فى فراشك .. ليلتها وجدت قلبى يغادرنى ، ويرفرف حولك وأنت نائمة ، ولو أن للقلوب ألسنة تنطق بها مثلنـا لسمعتى قلبى ليلتها وهو يهمس لـك متوسلاً : انهضـى يا ملاكى .. انهضى من رقادك ، فأنت من أبحث عنها منذ أول نبضة أودعها اللّه فى قلبى .. يا من بقيت خاليًا لأجلك كل هذا العمر .. يا من عشت أهفو إلى رؤياك كل هذا العمر .. يا من طال اشتياقى إلى لقائك كل هذا العمر .. نعم يا أروع فتاة .. من ليلتها غادرنى قلبى ، وأبى أن يعود إلىّ إلا بك ..

من ليلتها لا أحيا إلا بجوارك .. لا أحس إلا بجـوارك .. لا أتنفس إلا بجوارك .. من ليلتها وأنا أحبك حبًا أشهى من أى وصف .. حبًا أخذ بيدى وأضاء لـى الطريـق .. حبًا حولنى من إنسان ضائع ينحدر إلى الهاوية إلى إنسان صالح يجد ويجتهد ، ويحلم بقمة يعلم جيدًا أنها مستحيلة عليه !! أتعلمين ماذا تكون هذه القمـة المستحيلة التى لاتفارق أحلامى ؟ إنها قلبك .. قلبك أنت ..

نعم يا ملاكى .. صارت قمة أحلامى فى هذه الدنيا أن أفوز بقلبك .. أن أعتلى عرشه .. ومع أننى حذرت قلبى المسكين منذ أول لحظة طار فيه إليكِ بأنك قمة مستحيلة عليه ، إلا أنه أبى أن يسمعنى ، وأبى أن يعود إلىّ إلا وهو ظافر بك .. نعم يا رائعتى .. يا هاديتى .. يا مالكـة أمرى .. أنا أحبك .. أحبك ولو أن فى نطقى بها نهايتى لكفانى سعدًا أنى صارحتك بها ..

نعم يا ملاكى ، أنا الآن أشعر بـأننى ملك هذا العالم لأنى صارحتك بها .. أشعر بأننى أخذت كل حظى الحلو من الحياة .. أشعر بـأننى شبعت بكل مـا اشتهته نفسـى .. وحتى لو نفرت منى الآن .. وحتى لو انفجر غضبك علىّ ، وانطلقت مفارقة إلى الأبد .. حتى لو حكمت علىّ بـالإعدام بهذه الطريقة ، فسوف أموت وأنا أسعد إنسان فـى العالم لأننى استطعت أن أحبك كل هذا الحب .

واختنق صوت الفتى بالدموع ، فنكّس رأسه ليداريها ، ثم أردف وهو يمسح دموعه :

- إننى الآن لا أخشى رد فعلك يا حبيبتى .. لا أخشى حكمك علىّ بالإعدام .. ولكننى فقط أتوسل إليكِ ألا تعتبرى حبى إساءة لك .. أتوسل إليكِ فى هذه فقط .

وسكت الفتى وقد ضاع صوته فى زخم بكائه ، بينما ظل رأسه منكّسًا إلى الأرض فى انتظار مصيره .. وإذا برأسه ترتفع إلى أعلى ببطء .. رفعتها يدا « ياسمين » بكل حنانها لتنظر فى وجهه بينما دموعها تغمر وجهها .. وتعلّقت العيون الدامعة ببعضها للحظة طويلة دون كلمة ، حتى همّ الفتى بـأن ينكّس رأسه إلى الأرض مرة أخرى ، فإذا بالفتاة الملائكية تهمس له :

- هنئ قلبك يا فتى ، فقد ظفر بحبيبته منذ أن غازلتنى بأغنية : « كلك على بعضك حلو » .

* * *

الفصل السابع

لم يكن هناك مفر من ملازمة «رياض» لحبيبته .. ظروفها تحتم ذلك .. ولم يكن «صفوت» يملك الإحساس الذى يدفعه إلى الترفق بشقيقته القعيدة ، ولا يملك البصيرة التى تدفعه إلى تقدير صنيع «رياض» معها .. بل إنه مضى يفعل العكس .. مضى يخنق «رياض» بإهاناته المتكررة والمتعمدة له ، بل بلغ به الأمر أنه حاول طرده أكثر من مرة لولا تصدى «ياسمين» له ..

وعبثًا راحت الفتاة تحاول كبح جماح شقيقها .. تارة بأن تحاول تبصيره بنبل صنيع «رياض» ، وتارة أخرى بالغضب منه واستنكار تصرفاته الجارحة .. ولكن محاولاتها دومًا كانت تذهب هباءً .. أما «رياض» نفسه فقد فاجأ «ياسمين» بكياسة ورحابة صدر جعلته يعلو فوق نزق هذا الـ «صفوت» . فإذا به يقابل كل تصرفاته الجارحة ببشاشة عجيبة ، ويتلقى كل أوامره المؤلمة بابتسامة رضا .. إنه «الحب» ..

هكذا كان الفتى الطيب يجيب حبيبته كلما حاولت أن تواسيه ، أو تشفق عليه من فظاعة شقيقها .. بل إنه

كان يهوّن عليها الأمر بقوله بأن صبره على «صفوت» هو أكبر تدريب له على سعة الصدر وقوة التحمل اللتين ستفيدانه عندما يحصل على الليسانس ، ويمارس حياته العملية كمحامٍ .. وكان مسلكه هذا يزيده قدرًا وجلالاً فى نظر حبيبته ، ويضاعف نصيبه من الحب فى قلبها .. أما فى قرارة نفسه ، فقد كان «رياض» يعتبر صبره على «صفوت» ما هو إلا برهان بسيط يبين به لحبيبته حجم حبه لها ، حتى إنه كثيرًا ما كان يداعبها بقوله :

ـ ليت كان لك عشرة أشقاء من عينة «صفوت» ليتضاعف حبك لى عشر مرات ، وأكون أنا الرابح .

ويكون رد الحبيبة عليه وهى تضم وجهه بين راحتيها :

ـ حبى لك يا فتى يتضاعف كل يوم مائة مرة ، وليست عشر فقط .

ولم تكن تلك مجرد كلمات تقولها الفتاة ، فقد طغى حبها لفتاها النبيل حتى صارت لا تتخيل حياتها بدونه ولو للحظات .. ومع تضاعف حبها له تضاعف

تشجيعها له على التفوق فى دراسته ، وهى لاتدرى أنها بمشاعرها الساطعة هذه وبمسلكها تدفع بـ « صفوت » إلى نقطة الانفجار ..

وقد حدث ..

فقد فتح « صفوت » باب حجرة مكتب « ياسمين » ذات مساء ليُفاجأ بـ « رياض » يجلس خلف المكتب منهمكًا فى المذاكرة ، بينما شقيقته فى مقعدها بأحد أركان الحجرة تقرأ فى أحد المراجع القانونية .. وتسمّر « صفوت » فى مكانه محدقًا فى « رياض » ، ومتسائلاً بدهشة طاغية :

ـ ما هذا ؟

وانتبه الاثنان لوجوده ، فسألته « ياسمين » بهدوء :

ـ ماذا هناك يا « صفوت » ؟

ولكن « صفوت » بدا وكأنه لم يسمعها .. وراح يتقدم من « رياض » وهو يسأله بدهشة وسخرية :

ـ ما هذا ؟! الخادم يجلس إلى مكتب سيدته والسيدة تجلس فى ركن الحجرة كالخادمة ؟!

وصرخت « ياسمين » غاضبة :

ـ « صفوت » !

ولكن صرخة الفتاة ذهبت أدراج الرياح .. فقد توقف « صفوت » أمام « رياض » الذى كان قد نهض من مقعده غارقًا فى ذهوله ، وراح يفترسه بعينيه المتوحشتين وهو يسأله ساخرًا :

ـ ما الذى ينقصك الآن يا فتى ؟! أن تأمرها بإعداد القهوة لسيادتك ؟! أم تأمرنى أنا بإعدادها لك بنفسى ؟

وعادت « ياسمين » تصرخ فى شقيقها محاولة فرملته :

ـ « صفوت » ! كفى !

وإذا بيد « صفوت » تقبض على عنق « رياض » ، واليد الأخرى تصوّب فوّهة مسدسه إلى جبهته ، ثم يخاطبه بكلمات أشبه بالقذائف النارية :

ـ اسمع أيها البعوضة : هذه آخر مرة أمنحك فيها الفرصة للإفلات بجلدك .. اخرج من هنا ، ولاتضع

قدمك فى هذه الشقة مرة أخرى ، وإلا أفرغت مسدسى هذا فى عينيك هاتين حتى تتفجر جمجمتك إلى ذرات .

وفُزعت «ياسمين» .. كادت تفقد وعيها من جنون شقيقها .. ها هو يضع فوهة المسدس فى جبين حبيبها ، وأية إثارة له قد تدفعه إلى الإجهاز عليه .. ووجدت نفسها تهتف فى حبيبها مذعورة :

ـ «رياض» انصرف الآن ! انصرف الآن يا «رياض» .. اسمع كلام «صفوت» بك وانصرف فورًا .. هيا .. هيا ..

وبُهت «رياض» ، وكان فى وضع يعيقه عن النطق ، فأشار لها بعينيه إلى يد «صفوت» القابضة على عنقه ، فأسرعت المسكينة تتوسل إلى شقيقها :

ـ دعه يا «صفوت» .. دعه وسوف ينصرف ، ولن يعود مرة أخرى .. أنا أضمن لك ذلك .. أرجوك يا «صفوت» .. أرجوك .

وانفرجت قبضة «صفوت» عن عنق الفتى ، فالتفت إلى حبيبته يرميها بنظرة أسى تهدر حزنًا ، ثم استدار منصرفًا ببحر مرارته ، بينما الفتاة تشيعه بنظراتها الممزقة ،

حتى إذا ما سمعت باب الشقة يُغلق ، استدارت نحو شقيقها وقد انقلب حالها تمامًا .. انقلبت من قطة مذعورة إلى أسد مزمجر وهى تحدق فى «صفوت» قائلة :

ـ والآن يا «صفوت» ، اخرج من هنا ، ولاترينى وجهك إلى الممات ، اخرج !

وصعق «صفوت» .. غمغم مذهولاً :

ـ ماذا يا «ياسمين» ؟!

ـ ما سمعته أيها الوغد .

ـ أنا يا «ياسمين» ؟!

ـ نعم أنت يا «صفوت» .. هيا اخرج .. هيا .

ـ أنت جننت .. مؤكد جننت .. أتطردينني أنا من أجل حشرة ؟!

ـ اخرس !

قذيفة انطلقت من فم الفتاة لتصرع الفتى ذهولاً ، فتسمر فى مكانه يحدق فيها فى بلاهة ، وإذا بها

لاتكتفى بذلك ، بل تتقدم بمقعدها منه وهى تلتهمه بنظراتها النارية قائلة :

ـ إذا كان هو حشرة فماذا تكون أنت ؟ ماذا تكون ؟ هل نسيت يا « صفوت » ؟ هل نسيت تخليك عنى وأنا فى أشد الحاجة إليك ؟ هل نسيت متى قررت السفر ؟ قررته قبل أن يمر شهران على وفاة بابا وماما فى الحادث .. وقتها لم يكن لى فى الدنيا سواك .. وصُدمت بقرارك .. ولم أفهم ، ومازلت لا أفهم كيف يهون على أخ أن يترك أخته الوحيدة الكسيحة بمفردها ، ويهاجر إلى آخر الأرض ؟ كيف يطاوعه قلبه ؟!

وحاولت إثناءك عن قرارك ، وتوسلت إليك بالدموع ، بل إننى قبلت يديك حتى لاتتركنى وحيدة بظروفى هذه ، ولكنك بدوت كصنم من صخر .. لم تتحرك بك ذرة إحساس واحدة .. لم يرق قلبك لدموعى ولظروفى ، ومضيت فى عزمك وسافرت لتتركنى هنا غارقة فى عذاب لايُحتمل .. عذاب اليتم ، وعذاب الوحدة ، وعذاب إعاقتى وعجزى ..

سافرت وتركتنى أعيش أيامًا سوداء ،

وليالى أشد سوادًا .. عشت أبتهل إلى الله بالدموع أن يدركنى برحمته .. ولم يرد الله رجائى .. أدركنى برحمته .. رزقنى بهذا الفتى ـ التى تراه أنت حشرة ـ ليحيينى من موات .. ليعوضنى عن يتمى ، وعن عجزى ، وعن جحودك .. هذا الفتى الذى تراه أنت حشرة ما هو إلا مبعوث رحمة أدركنى به ربى .. هذا الفتى الذى تراه أنت حشرة وضعنى فى قلبه وفى عينيه وفى ضميره منذ أن وطئ هذه الشقة بقدميه .. هذا الفتى الذى تراه أنت حشرة كان ولايزال خير أمين علىّ .. لم يحاول يومًا أن يجرحنى بسلوك أو كلمة أو حتّى نظرة .. هذا الفتى الذى تراه أنت حشرة منحنى نفسه حارسًا على عرضى وعلى راحتى .. هذا الفتى الذى تراه أنت حشرة فعل بالضبط ما كان يجب عليك أن تفعله أنت يا أخى يا بن أمى وأبى .. ثم تأتى إنت بعد كل هذا الذى فعله لتحكم عليه بأنه حشرة .. حقًا الذين اختشوا ماتوا !

وجن جنون الفتى ، غمغم مذهولاً :

ـ أنا يا « ياسمين » ؟!

وأجابته الفتاة فى (قرف) طاغٍ :

ـ لو أُحِقَّ الحق لكان هو السيد وأنت الخادم .

قالتها وما كادت تتمها حتى هوت يد الأخ الطاغية على وجهها بصفعة مجنونة كادت تقلبها بمقعدها .. وانطلقت من الفتاة صرخة مكتومة ، راحت بعدها فى شبه غيبوبة ، ولكنها ما لبثت أن رفعت وجهها نحوه وقد غمرته الدموع ، وغرست نظراتها فى عينيه قائلة بكل (قرف) :

ـ أرأيت أنك كلب ؟

وقبضت يد الطاغية على شعر المسكينة وهو يقول وقد تحول وجهه إلى وجه شيطان مفزع :

ـ لولا أنك كسيحة لمسحت بك أرض هذه الشقة كلها .

وكان رد المسكينة ورأسها يتلوى فى قبضته :

ـ أقسم لك برحمة بابا وماما إن لم تخرج من هنا فورًا لأصرخن بأعلى صوتى حتى يأتى البوليس ، ولا أتركك إلا فى السجن .

وأُسقط فى يد الطاغية ، وانفرجت قبضته عن شعرها وهو يحدّق فيها مذهولاً ، بينما هى تجابه نظراته بنظرة متحدية شجاعة حتى استدار منسحبًا بذهوله ، فإذا بها تهتف به :

ـ نسيت أن أخبرك يا فتى بأنى سأتزوجه .

وتجمد الطاغية فى مكانه ، واستدار نحوها يحدّق فيها بجنون ، فإذا بها تردف :

ـ هذا إذا وافق هو بى .

وكان رد الفتى ، وهو يضغط أسنانه غيظًا :

ـ هذا إذا ما عاش حتى تتزوجيه .

قالها وانطلق جريًا كالعاصفة .

★ ★ ★

وحلت امتحانات الليسانس ..

واجتازها «رياض» ، ثم راح يكابد لهفة انتظار النتيجة ، حتى استدعته «ياسمين» ذات يوم إلى مكتبها فى

الكلية ، وحينما دخـل عليهـا وجدها تحلّق على وجهـه بنظرات باسمة متلألئة ، ثم إذا بها تقول :

ـ مبروك يا فتى .

ـ مبروك على ماذا ؟

ـ على الليسانس .

ـ ماذا ؟! هل ظهرت النتيجة ؟!

ـ أتيتك بها من الكنترول ، وقد نجحت .

ـ نجحت ؟! أنا نجحت ؟!

ـ وبتقدير جيد جدًّا .

ضربت المفاجأة الفتى .. غمغم مذهولاً :

ـ مـاذا ؟!

خرجت الفتاة بمقعدها من خلف مكتبها ، ودنـت منـه قائلة :

ـ ألف مبروك يا حبيبى ،

عاد الفتى يغمغم وكأنه يحدث نفسه :

ـ معقول هذا ؟!

أمسكت الفتـاة بيديه ، ورفعت وجهها تعانق وجهـه بعينيها :

ـ معقول يا حبيبى ، وليس كثيرًا عليك .

وتاه الفتى فى طوفان دهشته ، انطلقت نظراته الذاهلـة تتناثر هنا وهناك فى دهشة وعدم تصديق ، ولكـن مـا هى إلا لحظة حتى انفجرت فرحته كبركان عات اجتاحه بغير هوادة .. فرحة أكبر كثيرًا من هذه الشهادة ، ولكنه هـو بالذات كان معذورًا فى فرحتـه هذه .. هو بـالذات بظروفـه الخاصة له الحق فى أن ينهل من الفرحة كيف يشـاء .. إنـه لـم يكـن طالبًا عاديًّا .. ولـم تكن ظروفـه عاديـة ، وبالتالى فمن حقه ألا تكون فرحته عادية ..

لقد جاء عليه وقت كاد يُدمغ فيه بلقب «مجرم» إلى الأبد .. فمن المؤكد أن زلته إياها لم تكن سوى بداية على طريق الضياع ، والذى كان حتمًا سينتهى به مجرمًا يقضى حياته فى السجون أو مطاردًا من البوليس .. وربما قاده الطريق اللعين إلى حبل المشنقة .. وفى النهاية كان سيُدمغ إلى الأبد بلقب « مجرم » بكل ما يحمله الوصف من عار ،

ولكن ها هو يُدمغ بلقب « رجـل قانون » بكل ما يحمله الوصف من شرف وجلال وكرامة .. أى برزخ هذا الذى يفصل بين الوصفين ؟! وأى إنســان هذا الذى يستطيع عبوره ؟! لقد كان من المحتمل جدًّا أن يكون محشورًا الآن فى أحد السجون مع المجرمين وأرباب السوابق ، ولكن هـا هـو الآن مرشـح للوقـوف فـى سـاحة العدالـة رافعًا راية الحق والعدل فى شـموخ .. أيـة مسـافة هـذه التـى تفصـل بين الموقعين ؟! وأى إنســان هـذا الـذى يستطيع قطعها ؟!

هكذا انفجرت شلالات من الخواطر داخل الفتى دفعة واحدة ، وامتزج انفجارها بانفجـار فرحتـه ، فلـم يشـعر بنفسه وهو يذرع أرض الحجرة بخطواته شاردًا ذاهلاً ، وكأنه فقد السيطرة على نفسه .. ولكنه ما لبث أن انتبه إلى الأستاذة السـاكنة فـى مقعدهـا ، وقـد راحت تتأملـه بنظراتها الباسمة ، فغمره الإحسـاس بـالخجل ، وجلـس أمامها على ركبتيه معتذرًا :

ـ أنا آسف يا أستاذة .. نسيت نفسى .

وكان ردها فى حنو :

ـ لا تعتـذر يا حبيبى ، فـأنا خيـر مـن يعـلم دوافـع فرحتك .

ـ أنت صاحبة الفضل فى هذا .

ـ أستغفر الله .. الفضل أولاً لله ، ثم لاجتهادك .

ـ لولاكِ لضعت .

ـ لا تنظر وراءك ، انظر إلى الأمام ..

ـ هى واحدة مـن اثنتين : إذا لـم ترشـحنى الجامعـة معيدًا فسوف أبدأ التدريب فى مكتب محام كبير .

ـ ولماذا لا تقدم فى النيابة ؟

فوجئ الفتى بشدة :

ـ ماذا ؟! النيابة ؟!

ـ نعم .

طغت دهشة الفتى :

ـ أنا ؟! أنا أصبح وكيلاً للنيابة ؟!

- ولِمَ لا يا فتى ؟ أنت لم تتجاوز السن القانونى ، وتقديرك يسمح ، وليس فى حياتك ما يخالف القانون .. فما المانع إذن ؟

- حبيبتى : هذا كثير .. كثير جدًا .. لم يخطر لى ببال .. لم أجرؤ على التفكير فيه .

- لماذا ؟ هذا حقك .. تقديرك الذى حصلت عليه بمجهودك يعطيك هذا الحق ..

- الأمر لا يتوقف على التقدير وحده يا أستاذة ، وأنت خير من يعلم ذلك .

وفهمت الأستاذة :

- آه تقصد الوساطة .

أومأ الفتى بالإيجاب فى أسى .. فإذا بالفتاة ترفع وجهه نحوها بيدها ، ثم تقول فى حنو :

- سيادة وزير العدل كان صديقًا حميمًا لبابا الله يرحمه ، وقد تحدثت إليه ، وهو فى انتظار أوراقك !!

* * *

الفصل الثامن

ما أن صرف وكيل النيابة الشاب المتهمين الذين فرغ من استجوابهم حتى دخل إليه حارس مكتبه بكارت شخصى ، وما أن طالعه حتى هبّ واقفًا من خلف مكتبه وهو يأمر سكرتيره بالانصراف ، ويأمر الحارس بعدم إدخال أحد ، وهرع إلى باب المكتب مستقبلاً الزائرة صاحبة الكارت ! لم يكن وكيل النيابة الوسيم المحفوف بهالة باهرة من الوقار والهيبة سوى « رياض » ، ولم تكن زائرته المهمة سوى « ياسمين » .. أدخلها « رياض » على الفور ، وأغلق الباب خلفه ، ليجثوا أمامها على ركبتيه هاتفًا بكل فرحته :

- كنت واثقًا من قدومك .

عانقته بنظرة ساطعة لافحة كوهج الشمس جعلته يهتف متسائلاً :

- حبيبتى ، ما كل هذا الذى فى عيونك ؟

أجابته وهى تعانق كل قسمة فى وجهه بنظرتها المتوهجة :

ـ فرحة .. فرحة أكبر منى .. لقد قضيت الليل كله أتوسل إلى الساعات أن تمضى كى يأتى النهار ، وآتيك لأراك فى مقعدك هذا .. مقعد وكيل النيابة ! إننى حتى الآن لا أكاد أصدق أنك صرت وكيلاً للنيابة ! كيف تمت ترقيتك بهذه السرعة من « معاون » إلى « وكيل نيابة » ؟!

أحقًا صرت وكيلاً للنيابة أيها الفتى ؟!

أحقًا هذا ؟!

وتحركت يدا الفتاة لتحتضنا وجه فتاها وهى تردد فى شبه ذهول :

ـ آه لو تدرك ما يحدث بداخلى الآن يا فتى .. آه لو تدركه .

وخفق قلب الفتى تأثرًا وهو يجيبها :

ـ أدركه يا زرقاء العيون .. كيف لا أدركه وأنت التى صنعت كل هذا ؟ أنت التى رفعتنى من أسفل سافلين إلى هذه القمة المحالة .. أنت التى أعدت تخليقى من إنسان وضيع ضائع إلى إنسان كريم راقٍ .. أنت التى صنعت لى

عرشًا ما كنت لأجرؤ على الحلم به ، ورفعتنى إليه من الحضيض .. أنت التى أسقطت الغشاوة من فوق بصيرتى ، وعلمتنى كيف أبصر ، وكيف أشعر ، فكيف لا أدرك مشاعرك الآن ؟ بل أدركها يا سيدتى ، أدركها وأكاد أذوب إجلالاً لها .

ومال وكيل النيابة الشاب على يد الفتاة العظيمة ليطبع بشفتيه قبلة الاعتراف بالفضل العظيم ، بينما الفتاة تمسك دموعها بالكاد ، ووجدت نفسها ترفع وجهه نحوها ، قائلة له بابتسامة منتزعة :

ـ قم يا فتى ! قم واجلس إلى مكتبك !

فما جئت إلى هنا إلا لأراك جالسًا فوق عرشك .. قم !

وأطاع الفتى الطيب .. نهض وجلس إلى مكتبه ، فإذا بقلبها يزغرد من الفرحة ، وإذا بنظراتها تزداد توهجًا ، وتلتهمه تقبيلاً وعناقًا ، وما لبثت أن راحت تدفع بمقعدها حتى استقرت أمام المكتب ، وإذا بها تخرج من حقيبتها سلسلة مفاتيح ذهبية بها مفتاحان أنيقان يفصحان عن كينونتهما ، وتمد يدها بهما ، فتناولهما منها وهو يتساءل :

ـ ما هذا يا حبيبتى ؟

ـ هديتك أيها الفتى الرائع .

ـ هديتى ؟!

ـ نعم ، سيارة جديدة تليق بأروع وكيل نيابة .

انتفض واقفًا :

ـ ماذا ؟!

ابتسمت لذهوله :

ـ اهدأ يا سيادة النائب ، واخرج لتلقى نظرة على سيارتك .

ـ سيارتى ؟!

ـ نعم سيارتك ، وتنتظرك أمام مبنى المحكمة .

ولم يجد الفتى تعليقًا ، راح يخرج من خلف مكتبه وهو يحدّق فيها ، بينما ابتسامة الذهول تتراقص على شفتيه ، حتى توقف أمامها يسألها :

ـ هل هذا معقول ؟!

ـ ما هو غير المعقول يا فتى ؟

ـ هل هناك فتاة على ظهر الأرض تفعل ما تفعلينه هذا ؟!

ـ وهل هناك فتاة على ظهر الأرض تحبك مثلما أحبك أنا ؟

كاد يختطفها فى حضنه ، ولكن دهشته ظلت تغالبه ، عاد يقول :

ـ حبيبتى ، حتى بين المحبين لابد أن يكون هناك توازن فى العطاء ، وأنت أعطيتنى الكثير والكثير دون مقابل ، والمنطق كان يقتضى بأن يتوقف عطاؤك لى ببداية حياتى العملية ، ولكن هأنت تواصلينه بما يستحيل علىّ رده .. شقة فى عمارتك ، وبعدها بأقل من سنة سيارة .. أليس هذا بكثير يا حبيبتى ؟ أليس هذا بكثير ؟!

وكان رد الفتاة ببساطة ، وهى تهدهده بابتسامتها الحلوة :

- يا فتى : إذا كنت قد منحتك قلبى فما هو الكثير بعد ذلك ؟

وخفق قلب الفتى ، ووجد نفسه يخر جالسًا أمامها ، وقد احتضنت يداه يديها ، ووجد نفسه يسألها بصدق :

- وكيف أكون جديرًا بهذا القلب الملائكى ؟

- بأن تحبنى ..

- أكثر من هذا ؟

- نعم .. أكثر من هذا ؟

- أخبرينى كيف .. إننى أحبك أكثر من نفسى .. أكثر من حياتى .. حب طغى على قلبى وعلى عقلى وعلى كيانى كله .. أفلا يكفيك هذا الحب ؟

- لا .. لا يكفينى .. أريد أكثر .. نعم أكثر .. أتعلم لماذا ؟ لأننى أحبك أكثر من ذلك كثيرًا .. أحبك حبًا يفوق هذا الكون حجمًا واتساعًا .. حبًا يفوق الحياة ذاتها امتدادًا .. حبًا يفوق كل ما فى قلوب البشر من حب .. حبًا لو نثروه فى قلوب البشر جميعًا لاجتمعوا على رغيف خبز واحد ، وكوب ماء واحد .. فهل تحبنى بهذا

القدر ؟ أحبنى يا فتى .. أحبنى أكثر وأكثر وأكثر ، فلست أريد منك سوى الحب .. الحب فقط ، ولا سواه .

وأُسقط فى يد الفتى ، وقد انكشفت لـه ضآلة حبه أمام هذا الطوفان الجارف من الحب ، وراح يحلق بنظرات الإجلال والاعتذار على وجه الحبيبة الجميلة ، بينما الحبيبة تكابد دموعًا عزيزة تحاول جاهدة الإفلات من عينيها الزرقاوين الجميلتين .

ولم يفق الحبيبان إلا على صوت طرقات بالباب ، فأسرع وكيل النيابة الشاب بالجلوس إلى مكتبه ، وما لبث الحارس أن دخل إليه بإشارة من قسم شرطة « المنتزه » ، ما أن قرأها حتى أسرع يعتذر لحبيبته ؛ لينطلق بسيارته الجديدة ملبيًا الإشارة .

* * *

وصل وكيل النيابة إلى موقع الجريمة الذى ورد فى الإشارة .. باخرة سياحية ترسو أمام فندق « شيرتون » « المنتزه » .. والقتيل هو مالكها .. مليونير فى العقد الخامس من عمره .. وشرع « رياض » بك فى عمله على الفور ..

وإذا بملابسات الجريمة تفصح له عن نفسها فى يسر .. فالمليونير القتيل اشتبك مع مدير أعماله الشاب فى مشاجرة حامية قبل مقتله بساعات قليلة .. والمشاجرة كانت نتيجة اتهام القتيل لمدير أعماله باختلاس سبعين ألف جنيه من إيرادات الباخرة ، وهو ما دفع القتيل إلى تهديد مدير أعماله بإبلاغ النيابة عنه إذا لم يرد المال المختلس خلال ساعات ، وكان رد مدير الأعمال الشاب بأنه لن يتردد فى قتله إذا ما فعلها .. وأن هذا كله حدث على مرأى ومسمع كل موظفى وعمال الباخرة ..

وأنهم لم ينفضوا إلا بانصراف مدير الأعمال الشاب من مكتب القتيل ، ولكن حين عاد أحدهم بعد ساعتين تقريبًا لاستشارة مالك الباخرة فى أمرٍ ما ، فوجئ به منكفئًا على مكتبه ، وفتاحة خطاباته الذهبية مغروسة فى رقبته من الخلف ، بينما نافذة مكتبه المطلة على البحر مفتوحة على مصراعيها ، مما يؤكد أن القاتل تسلل منها وهرب منها بعد ارتكاب جريمته .. أى أن المحصلة النهائية لكل هذا هى أن مدير الأعمال الشاب هو القاتل ولا أحد سواه .. وفى النهاية فإن مدير الأعمال هذا يدعى ... «صفوت السلحدار» !!!!

نعم .. لم يكن القاتل سوى شقيق «ياسمين» الحبيبة !!!

تلك كانت المفاجأة التى انفجرت كالقنبلة فى وجه وكيل النيابة الشاب !!

وللحظات فقد المسكين توازنه، وفقد القدرة على التفكير .. وبدا ذلك واضحًا على وجهه ، حتى إن ضابط المباحث المرافق له أسرع يسأله :

ـ سيادة النائب ، هل أنت بخير ؟

وانتبه «رياض» بك إلى نفسه ، وأسرع بإجابته :

ـ نعم .. نعم .

ثم أمره باستكمال التحقيق فى مكتبه ، ومضى منصرفًا .

* * *

وطوال الطريق إلى مكتبه راح بركان عاتٍ من الأفكار يتفجر بلا رحمة فى رأس وكيل النيابة الشاب .. ما هذا الذى فعله القدر به ؟ يجعل من «صفوت» قاتلاً ؟ ويجعل منه سيف عدالة عليه أن يقتص منه ؟ وفوق هذا وذاك يجعل من الحبيبة حمامة مذبوحة ؟

نعم ، فمن المؤكد أن الصدمة ستصرعها .. فها هى تقع صريعة بين جريمة شقيقها وواجب حبيبها .. ها هو شقيقها اللعين يدمغها بعار ثقيل يصبغ القلب سوادًا .. وها هو حبيبها مكلف بالقصاص من هذا الشقيق العار .. ثم هل ستقدر له الحبيبة أن قصاصه من شقيقها ما هو إلا وفاء بالواجب لا أكثر ؟ أم أن عواطفها ستنحرف ببصيرتها فتجعلها ترى فى واجب حبيبها انتقامًا شخصيًا من شقيقها ؟ يا له من موقف .. يا له من موقف .

وبلغ وكيل النيابة المسكين مكتبه .. وكان قد استرد بعضًا من رباطة جأشه .. وكان رجال المباحث قد أحضروا له كل من كان متواجدًا بالباخرة وقت وقوع الجريمة ، فشرع فى استنناف التحقيق .. ورغم أن الأمر بدا واضحًا ومحسومًا من بدايته ، إلا أنه قضى أكثر من عشرين ساعة متواصلة فى التحقيقات .. وبدا وكأنه (يستميت) فيها علّه يقبض على أمل فى زحزحة هذه الجريمة بعيدًا عن « صفوت » ، ولكن لا أمل .. كل الملابسات والقرائن والأدلة اجتمعت على أمرٍ واحد : وهو أن « صفوت » هو القاتل ، ولا أحد سواه .

هكذا أُسقط فى يد وكيل النيابة الشاب ، وسُدت فى وجهه كل السُبل ليجد نفسه فى النهاية يصدر قراره بسرعة القبض على القاتل الهارب « صفوت عبد الحليم السلحدار » !!

★ ★ ★

وصدرت صحف الصباح تحمل تفاصيل الجريمة ، وقرار النيابة بالقبض على القاتل الهارب .

وجاءت اللحظة التى كان يخشاها وكيل النيابة المسكين .. دخلت عليه الحبيبة مكتبه وهى مصروعة بالذهول .. اندفعت تسأله مذعورة عن حقيقة الأمر .. وصارحها الفتى وهو يتمزق ، ثم ألقى برأسه بين يديه من فرط غمه ، بينما راحت المسكينة تردد فى ذهول :

ـ مستحيل ! مستحيل !

وبدت وكأنها ستفقد وعيها ، فأسرع الفتى بالخروج إليها من خلف مكتبه ، وجثا أمامها على ركبتيه محتضنًا يديها بيديه وهو يناشدها بأن تتماسك ، وراح يحاول أن يمنحها بصيصًا من أمل :

ـ حبيبتى .. التحقيق ما زال فى بدايته ، والإدانــة لـم تثبت عليه بشكل قاطع .

رفعت رأسها المنكّس ، فبدت الدموع المتحجرة بقسوة فى عينيها ، سألته فى ألم يمزق نياط القلب :

ـ هل أصدرت قرارًا بالقبض عليه ؟

أومأ لها بالإيجاب فى تمزق ، ثم عاد يناشدها :

ـ حبيبتى ...

وإذا بها تقاطعه بالدموع وهى منكسة الرأس :

ـ أنت حبيبى ، وهو أخى .. مهمـا حدث منـه هو أخى .. قطعة منى .

وكاد قلب الفتى ينخلع من موضعه .

★ ★ ★

الفصل التاسع

لم يدر «رياض» بك كيف عاد إلى شقته .. كانت الساعة قد جاوزت الثالثة صباحًا .. أدخل السيارة فى جراج العمارة ، ثم صعد إلى الشقة مكدودًا مهمومًا .. فتح باب الشقة وهو لايكاد يرى موضع المفتاح ، وهمّ بأن يغلق الباب خلفه ، فإذا بالباب لا يُغلق ، منعه من الغلق « صفوت » !!

وتجمد «رياض» فى مكانه من المفاجأة للحظة ، ولكن فى اللحظة التالية كانت فوهة مسدسه مغروسة فى رأس « صفوت » ، ولكن الأخير أدركه قائلاً :

ـ لا داعى لهذا يا « رياض » بك .. لقد جئتك بقدمىَ لأضع نفسى بين يديك .

لم تتزحزح فوهة المسدس عن رأس «صفوت» ، والبك يقول له بصرامة :

ـ خير ما فعلت .. ادخل !

ودخل «صفوت» والسلاح فى رأسه ، وأغلق «رياض» بك باب الشقة بقدمه ، ثم اخرج تليفونه المحمول بيده الخالية ، وهمّ بأن يطلب البوليس ، فإذا بـ « صفوت » يسبقه قائلاً :

ـ استحلفتك بحبك لـ « ياسمين » ألا تفعلها حتى تسمعنى .

ارتج قلب البك حتى كاد المسدس والتليفون يسـقطان من يديه ، فى حين أردف « صفوت » :

ـ أرجوك يا « رياض » بك .. أرجوك .. اسمعنى للحظات ، ثم افعل بى ما تشاء بعد ذلك .. وأقسم لك برحمة بابا وماما بألا أقاومك فى أى إجراء تتخذه .

وسكن الفتى تمامًا معطيًا الفرصة للبك لاتخاذ قراره .. وراح الأخير يتفرسه بنظراته فى مزيج من السخط والقرف ، ولكن كلمات الفتى سرعان ما نفذت إلى عقله ، فأرخى يده بالمسدس ، ثم ما لبثت نظراته أن راحت تتفحصه بإمعان ، فإذا به يرى شخصًا آخر غير « صفوت » ابن الذوات المنفوخ بالعنجهية والغطرسة والنفخة الكاذبة .. شخصًا ضعيفًا مذعورًا متهالكًا كالفأر المُطارد .. تفحّصه « رياض » بك مليًّا وهو يتعجب فى نفسه من تصاريف القدر ، ووجد نفسه يسأله فى قرف :

ـ كيف جرؤت على المجىء إلى هنا بقدميك ؟

ـ بل جئتك مستغيثًا يا « رياض » بك .

ـ مستغيثًا ؟!

ـ نعم يا « رياض » بك مستغيثًا .

طفحت من البك ابتسامة سخرية وهو يكرر سؤاله :

ـ مستغيثًا بى أنا ؟!

ـ نعم .. يا « رياض » بك مستغيثًا بك أنت فكما ترى وضع القدر مصيرى ورقبتى بين يديك .

ـ وهل جئت تناشدنى العفو والسماح ؟

ـ بل أناشدك ألا تسخر منى يا « رياض » بك ، فأنا لست بهذه السذاجة والجهل ، وأعلم جيدًا أن هذا ليس بيدك .

ـ فماذا تريد إذن ؟

ـ أريدك أن تصدقنى .. أنا لم أقتل « رشدى الأعسر » .

ـ وماذا أيضًا ؟

ـ لا شىء سوى هذا يا « رياض » بك .. أقسم لك بالله بأننى لم أقتله .

ـ بدون حلف ، أصدقك يا فتى ، أصدقك .. أنت لم تقتله ، ولم تسرقه ، ولم تتشاجر معه ، ولـم تهدده .. أنت إنسان رقيق مسالم ، يستحيل عليك أن تقتـل بعوضـة ، أليـس كذلك يا فتى ؟!

لم يجد الفتى ما يقوله .. أطرق إلى الأرض عجزًا ، بينما راح « رياض » بك يلتهمه بنظراته الصارمة وهو يقول :

ـ اسمع يا حثالة ! أساليب المسكنة والصعلقة هذه تمارسها على تافه مثلك .. أما أنا فبإمكانى عجنك وخبزك بنظرة واحدة إلى وجهك .

وسرعان ما عادت فوهة مسدس وكيل النيابة الشـاب تلتصق برأس المجرم ، بينما وكيل النيابة يقول فى حسم :

ـ أنت مقبوض عليك بتهمة قتل « رشدى الأعسر » ، واختلاس سبعين ألـف جنيـه من أموالـه .. اجلس فـى هذا المقعد ، ولا تبد حركة واحدة حتـى يـأتى البوليس ، وإلا فجّرت رأسك هذا بالرصاص دفاعًا عن النفس .

ـ وأنا لن أقاومك يا « رياض » بك .

وجلس الفتى فى المقعد مستسلمًا ، بينما همّ وكيل النيابـة بأن يطلب البوليس ، وإذا بالفتى يسبقه متسائلاً :

ـ ماذا سيكون شعور « ياسمين » نحـوك عندما تعلـم بأننى لذت بك وخذلتنى ؟

وجاءه الرد خاطفًا .. ركلة فى منتهـى الشراسـة فـى بطنه من وكيل النيابة وهو يصرخ فيه :

ـ اخرس .. حذرتك من هذا الأسلوب معـى .. اخرس تمامًا .

وانثنى الفتى على بطنه للحظة ، كاد يموت خلالهـا من ألم الركلة ، ولكنه ما لبث أن تمالك نفسه ، ونهض بصعوبة ، ثم راح يتطلع إلى البك قائلاً :

ـ رسبت .. رسبت فى اختبار القدر لك يا « رياض » بك .. غلب « رياض » صاحب الثأر « رياض » بك رجل العدالـة .. الذى ركلنى الآن بهذه القسوة هو « رياض » الموظف لـدى أختى الذى طالما أسأت إليه وأهنته ، وليس « رياض » بك وكيل النيابة الذى يملك مصيرى ، ويحتم عليـه ضميره أن يكون عادلاً رحيمًا .. رسبت يا « رياض » بك .. رسبت يا رجل العدالة .. رسبت ، وهويت بشرف العدالة الـذى يتوج رأسك .

ودوّت صرخة البك :

ـ اخرس .. قلت لك اخرس !

ـ لا يا « رياض » بـك ، لـن أخـرس .. أنـا بـرىء .. واللّه العظيم برىء .. وجزء كبير من إحساسك يصدقنـى .. يخشى أن أكون مظلومًا .. يريد أن يساعدنى إذا ما كنـت أستحق المساعدة .. فلماذا تغلّب الكراهية وشـهوة الانتقام على هذا الإحساس النبيل ؟ لمـاذا ترضـى لنفسك بهـذا الانزلاق وأنت بيدك أن ترفع نفسك بـالعفو والتسـامح ؟ أعلم أن هذا صعب على الإنسان حين تأتيه فرصة الثـأر لكرامته .. ولكن الإنسان البصير إذا ما تأمل هذه الفرصـة لاكتشف بيقين أنها فرصة لاختبار معدنه .. وما أحسبك يا « رياض » بك إلا من معدن طيب ، وإلا ما كان اللّه أنعم عليك بما أنت فيه الآن .

وسكت « صفوت » وقد أجهدته كلماته ، بينما « رياض » بك يكاد يحترق ذهولاً وهو يحدّق فيه متسائلاً :

ـ أنت ؟ هذا الكلام يخرج منك أنت ؟

وكان رد « صفوت » بمرارة شديدة :

ـ وماذا تنتظر من شاب تربّـى فـى أعرق البيـوت .. وتعلّم فى أرقى المدارس .. وجـاب العالم من شرقه إلى غربه .. وفوق ذلك كله طحنته محنة مثل التى أنا فيهـا الآن ، وأنت خير من يعرف قسوتها .

لم ينفك ذهول « رياض » بك .. ظل يحدّق فى الفتى مرددًا :

ـ مستحيل ! مستحيل أن تكون أنت « صفوت السلحدار » !

ـ بل أنا ذاته يا « رياض » بك مضافًا إلىَ تأثير المحنة ليس أكثر .

وأطرق الفتى خجلاً ثم أردف :

ـ أعلم أننى إنسان سيئ .. مشحون بعيـوب لا تُطـاق .. وأعلم أن هذا جعلنى أسىء إلى كثيرين أنت واحد منهـم ، بل منـهم أختى نفسها .

وهنا حدث ما يُعد معجزة لمن يعرف هذا الإنسان .. انحـدرت الدموع مـن عينـى « صفـوت » .. « صفـوت السـلحدار » المصنوع من صخور وغرور وعنجهية يبكى ! يذرف دموعًا مثل البشر !

وهنا بلغ ذهول « رياض » بك مداه ، ووقفت بطـرف لسانه كلمات كثيرة أمسكتها الدهشة ، فى حين راحت نظراته المذهولة تتقافز على وجه الفتى الباكى تبحث عن تفسير لهذه الدموع المعجزة .. وتهالك « صفوت » فى المقعد ملقيًا برأسه بين يديه فى انهيار .. وبدا ضعيفًا ضئيلاً متهالكًا ..

وكان ذلك كافيًا لإحداث تغيير ما فى نفس « رياض » بك تجاهه .. تغيير جعل البك يتأمل الفتى المتهالك بنظرة حيرة ، ويسأله :

ـ ماذا تريد الآن يا « صفوت » ؟

ـ أريدك أن تصدقنى .. أنا لم أقتل هذا الرجل .. لم أقتله .

ـ وظروف الجريمة التى تؤكد جميعها أنك مرتكبها .. اتهام القتيل لك بالاختلاس .. مشاجرتك معه قبل مقتله بساعات .. تهديدك له بالقتل أمام كل موظفى وعمال الباخرة .. ألم يحدث كل هذا يا فتى ؟!

ـ بلى يا « رياض » بك .. حدث كل هذا .

ـ فمن قتله إذن ؟ شخص آخر تطوع لخدمتك ؟!

ـ نعم يا باشا ، إنه فعلاً شخص آخر ، ولكنه لم يتطوع لخدمتى ، بل استغل كل الظروف التى وقعت لأحمل أنا الجريمة .

ـ وهذا الشخص وجد لديه دافع للقتل هكذا فجأة ؟!

ـ لا يا باشا .. من المؤكد أن الدافع كان موجودًا لديه مسبقًا ، ولكنه فقط كان ينتظر الفرصة المناسبة .

ونهض « صفوت » وقد لمس بإحساسه ذلك التغيير الذى أصاب نفس « رياض » بك تجاهه ، ووقف أمامه يسأله فى نبرة تفيض صدقًا :

ـ « رياض » بك : ألم تسأل نفسك عما يرغمنى على السعى إليك بقدمىَ معرضًا نفسى للقبض علىَ ولاتهامك لى بالتعدى عليك فى منزلك ؟ ألم تسأل نفسك عما يرغمنى على السعى إليك بنفسى وأنا أعلم مدى كراهيتك المسبقة لى ؟ ألم تسأل نفسك عما يرغمنى على السعى إليك بنفسى وأنا أعلم بأنه لا شىء يعفيك من القبض علىَ حتى تثبت براءتى ؟ لو سألت نفسك يا « رياض » بك لما وجدت غير جواب واحد لكل هذه التساؤلات ، وهى أنى برىء ، وإذا لم تكن مقتنعًا بهذا استدع البوليس فورًا ، ولن أبرح مكانى حتى يأتى ويأخذنى .

وعاد الفتى إلى مجلسه بالمقعد ، بينما وقف « رياض » بك يتأمله بنظرات واجمة ظاهرها السكون ، وباطنها حيرة هادرة .. وطال تأمله للفتى الساكن فى مقعده حتى وجد نفسه يسأله فى هدوء :

ـ أين ذهبت يا « صفوت » بعد مشاجرتك مع المجنى عليه ؟

وكان رد « صفوت » بنفس الهدوء :

ـ ذهبت إلى « ياسمين » .

انتفضت حواس وكيل النيابة الشاب :

ـ « ياسمين » من ؟

ـ شقيقتى .

عاد وكيل النيابة يهتف فى الفتى :

ـ أنت ذهبت إلى « ياسمين » ؟!

ـ وبقيت معها لأكثر من ثلاث ساعات .

ـ لماذا ؟

ـ لكى آخذ منها السبعين ألف جنيه وأردها إلى « رشدى الأعسر » ، وشرحت لها ورطتى ولكنها لم تصدقنى !

★ ★ ★

لحظات وكان وكيل النيابة يقف أمام « ياسمين » فـى شقتها ، يهتف فيها :

ـ لماذا لـم تخبرينى بـأن « صفـوت » كـان معك من الساعة الثالثة حتى الخامسة ونصف مساء الأحد الماضى ؟

وهتفت الفتاة وقد فهمت :

ـ وهل وقعت الجريمة فى هذا الوقت ؟

ـ أجل !

عادت تهتف بانفعال :

إذن فـ « صفوت » برىء فعلاً .. لقد كان معى فـى هـذا الوقت .. كان معى .

ـ لماذا لم تخبرينى بذلك ؟

ـ لأننى لم أكن أعلم بأن الجريمة وقعت فى هذا الوقت ، ولأن الصدمة أنستنى ذكر هذا .

وأمسكت بيد وكيل النيابة الشاب ، وراحت تردد بانفعال شديد :

ـ « صفوت » برىء يا « رياض » .. « صفوت » برىء .

ولم يملك وكيل النيابة سوى التطلّع إليها فى حيرة وانفعال ، ثم قال :

ـ للأسف حتى شهادتك هذه لا تثبت براءته .

ـ أعلم ذلك ، ولكننى أقسم لك بأن « صفوت » كان معى فى هذا الوقت .

ـ كل الأدلة ضده .

ـ ومع ذلك أقسم لك باللّه أنه برىء .

ـ أنت أستاذة قانون ، وتعلمين جيدًا أن القانون له الأدلة .

ـ أعلم ذلك ، وأعلم أيضًا أن هروب « صفوت » زاد موقفه سوءًا .

وصمت الطرفان فى حزن وحيرة ، ولكن الفتاة المعذبة ما لبثت أن سألته :

ـ هل لى أن أرجوك أمرًا ؟

ـ أنا تحت أمرك .

ـ لا تستسلم لهذه الأدلة .. نحها جانبًا ، وابحث فى القضية بعيدًا عنها .

ـ هذا ما فكرت فيه توًا ، وثقى بأننى سأبذل أقصى ما بوسعى للوصول إلى المجرم الحقيقى .

وهنا انتبه الفتى إلى أنه يتعامل مع حبيبته بشكل رسمى فى الوقت التى تحتاج فيه إلى الحبيب ، فأسرع بالجلوس أمامها على ركبتيه ، وأمسك بيديها يحتضنهما براحتيه وهو يقول فى حنان وحب :

ـ حبيبتى ، إن شاء اللّه سوف تثبت براءته ، وسيخرج من هذه المحنة إنسانًا طيبًا تسعدين به ويسعد بك .

وكان رد الفتاة المعذبة وهى تتمزق حزنًا :

ـ إنه أخى يا « رياض » .. أخى الذى شاركنى مهدى وطفولتى وصباى .. أخى الذى شاركنى مرحى وطعامى وفراشى .. أخى الذى شاركنى حب بابا وماما .. إنه القطعة الوحيدة الباقية لى فى الحياة منهما بعد رحيلهما .. أخى يا « رياض » .. مهما قسا علىّ ، ومهما أساء إلىّ هو أخى .. أخى .

واختنق صوت الفتاة بالدموع ، ولكنها أردفت مكابدة دموعها :

ـ آه لو يعلم الآن بأنك اقتنعت ببراءته ، وبأنك لاتحمل له ضغينة لعاد توًا من فراره .. ليته يعود .. ليته يعود .

وانفجرت المسكينة باكية ، بينما « رياض » يحدّق فيها مبهوتًا وقد شق قلبه انهيار حبيبته القوية على هذا النحو ، حتى كاد يخبرها بأن « صفوت » معه فى شقته ضيفًا معززًا مكرمًا ، وأمانة فى رقبته حتى تثبت براءته .

* * *

الفصل العاشر

خمسة وخمسون يومًا والتحقيقات والتحريات حول مقتل « رشدى الأعسر » جارية على قدمٍ وساق .. لم يكتف « رياض » بك بتكليف المباحث بتولى الأمر ، بل نزل إلى مسرح الجريمة بنفسه ، وراح يجرى تحقيقات موسعة مع كل موظفى وعمال الباخرة ، بل ورواد الباخرة الذين كانوا متواجدين على متنها وقت وقوع الجريمة ، وراح يجرى تحرياته بنفسه عنهم جميعًا .. وكانت النتيجة أن أفرزت تلك التحريات والتحقيقات الكثير من المفاجآت حول علاقات المجنى عليه ومعاملاته ، ورويدًا رويدًا بدأ يلوح فى الأفق ما يوحى بأن هناك من لديهم دوافع لقتل المجنى عليه بخلاف « صفوت » .. فازداد وكيل النيابة الشاب حماسًا .. وازدادت جهوده ضراوة .. فإذا بحلقة البحث تضيق وتضيق حول القاتل الحقيقى ، حتى سقط بين يدى وكيل النيابة الشاب .. ولم يكن هذا القاتل سوى عامل بالباخرة غرر القتيل بشقيقته وتخلّى عنها ، فكان جزاؤه القتل على يد العامل .

* * *

مسكينة « ياسمين » .. هل كان بمقدور فتاة فى مثـل ظروفها أن تتحمل كل هذا ؟ هل كـان بمقدور قلب مثـل قلبها الرقيق أن يصمد أمام مثل هذه الأمواج العاتيـة من العذاب والحزن ؟

ها هو منظرها يمزق القلب وهى ساكنة بمقعدهـا خلف نافذتها العريضة ، ترسل نظراتها الحزينة إلى البحر الهائل ، وقد سكن تمامًا تحت غلالات ضى الغروب الرمادية الشتوية ، وكأنه يشاطرها أحزانها مثلما شاطرها مشاعر كثيرة علـى امتداد عمرها .. لم يكن هناك فى البحر الحزين بشر ولا سفن ولا شىء مطلقًا .. حتى الأمواج العابثة غابت تمامًا وكأنها فى رحلة إلى بحر آخر مجهول .. وكأنـه عزّ عليها أن ترى أحزان « الياسمينة » الرقيقة .

ولم تكن « الياسمينة » الحزينة فى سكونها أمام النـافذة منتبهة للمنظر المهيب المطروح أمام ناظريها فى جـلال .. لم يكن أمام عينيها سوى صورتين يخفق لهما القلـب .. صورتى الشقيق والحبيب .. الشقيق الـذى كادت رقبتـه تُجتث بحبل المشنقة ظلمًا لولا الحبيب !

لولا « رياض » !

آه .. « رياض » !

يا للعجب لأمر هذا الفتى !

من يكون ؟

وماذا يكون ؟

أهو ملاك رحمة ؟

أهو رسول قدر ؟

أهو دعوة والديها الصالحين ؟

أهو عملها الطيب ؟

من يكون ؟

وماذا يكون ؟

فى البدء ساقه القدر لنجدتها من قبضة الموت !

ثم ها هو القدر يكررها فيسوقه لنجدة شقيقها الوحيد من الهلاك !

فماذا يكون بالضبط ؟

ماذا تكون يا فتى ؟

ماذا تكون يا من تقف بشموع النور على بوابة قلبى ؟

ماذا تكون يا من تسبقنى بشموع الأمل على نهر دربى ؟

ماذا تكون يا من تبثنى الأمان والحنان والحب ؟

ماذا تكون ؟

أعلم أنك لن تجيبنى .

أعلم أنك لن تهدينى إلى حقيقتك .. إلى مفـاتيح نبلك وعظمتك .

لا يهم ..

لا يهمنى ..

الذى يهمنى هو أنك عظيم ونبيل ..

الذى يهمنى هو أن لك قلبًا عظيمًا .. عظيمًا مثل هـذا البحر العظيم ..

الذى يهمنى هو أنك جذبتنى إلى بحرك هذا ..

ليتك تبقينى فيه إلى الأبد ..

ليتك تطلقنى فيه حورية تنعم بكنوزه ..

ليتك تكتب علىَّ الخلود فيه ..

ليتك تفعلها يا فتى ..

ليتك تفعلها ..

هأنا فى الانتظار .. فعجل بحضورك .. عجل .. عجـ ...

ولم تتمها « الياسمينة » الجميلة .. سمعت صوته من خلفها يقول بعذوبة شدو الملائكة :

ـ هل تنتظريننا ؟

واستدارت بمقعدها وبذهولها ، وإذا بهما معًا .. نعم معًا .. الحبيب والشقيق !

وإذا بهما يجثوان أمامها وقد أمسك كل منهما بإحدى يديها ، ومال عليها يقبلها ..

* * *

[تمت بحمد الله]

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى





أ. فوزى عوض

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

رحلة الأمواج

وإذا بالفتاة تدنو منه قائلة فى حنو :

- انظر إلى رحمة ربنا بك ، جئت إلى هنا ضامرًا الشر فى قلبك . فإذا بيدك تمتد بالخير .. جئت متأهبًا لقتلى إذا ما اقتضى الأمر فإذا بك تنقذنى من الموت .. هكذا أرادك الله ملاك رحمة رغم نيتك التى جئت بها !

103

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية



مطابع

الثمن فى مصر ٣٠٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم